قلوب عبير

بالاشتراك مع راديو مونت كارلو

رحلة العمر
إلى
شواطئ اليونان
وجزره

مارغريت بارغيتر

المكابرة

www.elromancia.com
مرمورية

قلوب عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. K 8

المكابرة

لقد واجهت الحب في حياتها لكنه لم يصبها بسهامه الا حين التقت سيمون ردفورد. كانت تقرأ في عيون الرجال نظرات اعجاب ورغبة الا انها لم تعرف رجلا مثله يستطيع ان ينظر اليها بمزيج من النفور وارادة الامتلاك في وقت واحد. كان وجهه كالصخر المنحوت ولم يكن يحاول اخفاء ثقته بانه سيد الموقف ويستطيع ان يفعل ما يشاء بعدما انهارت الآن كل خطوط دفاعها السابقة.

حاولت يائسة ان توقف انبثاق الدموع من عينيها لكنها سالت على خديها، وذهلت حين احنى رأسه ومحا الدمع عنها.

كان رجلا لا يسمح لعاطفته ان تتحكم به. فهو يعرف طريقه جيداً ولا يحيد ابداء عن اهدافه!

لبنان ١٠ ل.ل.	الكويت ١ د	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ١٠ ل.س	الامارات ١٢ د	تونس ١٫٥٠٠ د	U.K. £ 150
الأردن ٨٠٠ ف	البحرين ١٥٠٠ د	ليبيا ١ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٢ ر	المغرب ٥ د	Greece Drs 200
السعودية ١٢ ر	عمان ١٥٠٠ ر	مصر ٧٠٠ ق	Cyprus P 1500

النساء اكثر حكمة من الرجال لأنهن يعرفن اقل ويفهمن اكثر.

جيمس ستيفنز

www.elromancia.com

١ ـ حدقت إليه متوردة الوجه وأهدابها ترمش بحيرة . ترى لماذا يخيفها إلحاحه بدل أن يفرحها ؟ وفجأة جذبها اليه وعانقها . . . وفي تلك اللحظة فتح الباب فوقع بصرها لأول لحظة على سيمون ردفورد ، المالك الجديد للشركة .

www.elromancia.com

قالت الآنسة براون مؤكدة بعناد :

ـ سأذهب . شئت أم ابيت !

فردت ليزا لوسون بتأكيد مماثل :

ـ ولكن ذهابك مستحيل في هذا الظرف .

قالت ذلك وقد ارتعشت اهدابها وحدقت في السكرتيرة الشخصية لمالك الشركة الراحل ردفورد ، فيما كست الخيبة وجهها فبدا مضحكاً الى حد ما . ولما استدارت الآنسة براون دون أن تكلف نفسها عناء الجواب ، أردفت ليزا بصوت قلق :

ـ ماذا سيحدث في رأيك لو جاء ابن اخيه في أثناء غيابك ؟ انه سيثور حتماً حين يعلم بذهابك بعيداً الى مايوركا .

فما كان من الآنسة براون الا ان اجابت بجفائها المعهود :

ـ عليه أن يرضى بالأمر الواقع .

وفي الحال ، عكفت على فرز كدسة من المستندات المطبوعة وأودعتها الدرج قبل أن تقفله . وجلست تتنهد بعمق ، قالت وهي تضع مرفقيها على المكتب وتسند وجهها بكفيها لتوحي جدية كاملة :

ـ من حقي أن آخذ اجازة ثلاثة اسابيع وسأغتنم الآن هذه الفرصة . فقد اضطررت الى تأجيلها بسبب الدفن . ولا شيء يحول دون اضطلاعك بالمسؤوليات أنت وسائر الموظفين ، فلم كل هذه الضجة ؟ فالرئيس الجديد لن يلتهمك . انت تدربت ما فيه الكفاية تحت اشرافي ، ولا موجب لأن تشعري بانك تلميذة مدرسة . كم عمرك ليزا ؟

ـ احدى وعشرون سنة . . .

ـ اذن انت ناضجة ما فيه الكفاية . وقد كنت أنا أدير تقريباً الشركة قبل بلوغي هذه السن . . . على الأقل الأعمال المكتبية ، وهذا هو المطلوب منك في الوقت الحاضر .

ثم هزت رأسها الذي بدأ يغزوه الشيب وأردفت بشيء من التأنيب :

ـ انصحك بأن لا تشيري الى السيد سيمون « بابن الأخ » فقد يسمعك ويغضب .

توردت ليزا بفعل التعنيف وبلعت ريقها وهي لم تعرف بالضبط ما الذي جعلها تسمي سيمون ردفورد « بابن الأخ » . لعلها فعلت ذلك لتوضح الفارق بينه وبين عمه الراحل ، وقالت بفتور :

ـ قد تكونين مصيبة ولكني لم اعرف اسمه الا مؤخراً . فقد زار الشركة لفترة قصيرة وكنت وقتها في اجازة مرضية كما تذكرين .

هزت الآنسة براون كتفيها دلالة عدم اكتراثها بمشاكل الآخرين وقالت بوضوح كلي :

ـ ان الوضع بمجمله مثير للدهشة ، ولكن كان بامكانك أن تقولي « السيد ردفورد الشاب » .

فسألتها ليزا بسخرية مهذبة :

ـ شاب ؟ وكم عمره بالتحديد ؟

لقد حاولت أن تتجاهل تعليق الآنسة براون الا ان فضولها طغى

عليها . فقد بدا لها الأمر غريباً ان لا تحظى شركة هندسية ضخمة الا بزيارة واحدة من مالكها الجديد ، وقد قام بهذه الزيارة لحضور مراسم دفن عمه الذي يبدو انه لم يكن قد تعرف اليه قبلاً . كانت زيارته من باب الشكليات لا غير اذ لم يمكث في الشركة اكثر من بضع ساعات . وهذا ما علمته من الموظفات الثرثارات ، وكانت اذ ذاك صريعة انفلونزا حادة فلم تحظ بفرصة التعرف اليه رغم استبعادها الكلي لهذا الاحتمال على أية حال .

ومع ذلك فقد أدركت تماماً ما الذي قصدته الآنسة براون عندما اعربت عن دهشتها . فانه لمن الغريب حقاً ان ام ليزا نفسها التي كانت زوجة ابن خال سيلاس ردفورد ، وتولت إدارة بيت سيلاس بعد وفاة زوجها ، لم تكن تعرف شيئاً يذكر عن ابن اخيه سيمون الذي ورث عنه مصالحه الواسعة . والأغرب من ذلك انه لم يتصل ببيت عمه ولا حاول الاتصال بأي واحد من القيّمين على شؤونه . فقد اختفى بعد مراسم الدفن مع محامي عمه قبل أن يعود ثانية الى لندن . ومن المؤكد انه يعتزم العودة من جديد .

بدت الآنسة براون غارقة في التفكير وهي تهيء الجواب لسؤال ليزا البريء ظاهرياً . وكأنها فطنت فجأة لانتظار ليزا اجابت بحيوية مخفية جهلها المؤسف :

ـ انه في أواخر ثلاثيناته على الأرجح . كنت احاول تحديد عمره الحقيقي . ولا احسبه بلغ حدود الأربعين وقد يكون اصغر سناً مما ذكرت . فعندما زار الشركة في الاسبوع الفائت كان منشغل الذهن كثيراً .

فسألتها ليزا بتهكم لم تلحظه الآنسة براون لحسن الحظ :

ـ مثلاً .

ـ موت عمه المفاجيء ربما . وقد ذكر ايضاً انه يشترك في مناقصة كبرى وهذا كاف بحد ذاته لشغل فكره اضافة الى شعوره العام بثقل المسؤولية .

أخذت ليزا تتساءل في سرها : « عندما تقع الآنسة براون فريسة الارتباك تفضي ببعض المعلومات البسيطة ، لا لشيء الا لتثير فضول صغار الموظفين الذين يحومون حولها لكسب رضاها ، وهي تتوقع منهم أن يصدقوا معلوماتها السرية بلا تحفظ ! » لكن تصرفها هذه المرة اغضب ليزا

فأجابت بصراحة :

ـ من المؤكد انه لم يضيع وقتاً طويلاً هنا ، فقد وصل بالطائرة واكتفى بحضور الجنازة . وحسبما سمعت ، فإن زيارته للشركة نفسها كانت في غاية الاقتضاب . وحين يقرر العودة عليه الا يتوقع تسيير الأعمال بسهولة وسرعة وكأنه امضى في الشركة معظم سني حياته . سوف يضطر الى طرح مئات الأسئلة ، وأنت لن تكوني هنا لتزوديه بالأجوبة المطلوبة . انه يركز اهتمامه على النواحي العملية فقط !

رفعت الآنسة براون حاجبيها مستغربة وأجابت رغم انها قررت أن تتجاهل معظم كلام ليزا :

ـ من خلال ما سمعته عن السيد ردفورد الجديد ، اعتقد انه سيعتمد على تفويضه الخاص ولن يحتاج الى مشورة احد . بوسعك ان تذكري هذا للآخرين ما دمت مصممة على تصديق الشائعات وترويجها !

تلوّنت بشرة ليزا الناصعة بحمرة قانية . . . فالآنسة براون تظلمها بهذا الظن وكم تود أن توضح لها خطأها . الا ان ليزا كتمت امتعاضها داخل نفسها بحكم خبرتها الطويلة كيلا تثير اعصاب الآنسة براون وتجرها الى تأنيبها من جديد باسلوب اكثر حدة . فالآنسة براون مديرة جيدة بصورة عامة ويطيب العمل معها . وقد صبرت كثيراً على جهل ليزا عندما التحقت بالشركة فور تخرجها من الكلية المهنية واعتنت بتدريبها ورعتها وهي لن تنسى فضلها ابداً .

لم تأبه الآنسة براون لتورد ليزا وانكماشها البسيط الذي بدا واضحاً في عمق عينيها الداكنتي الزرقة وتابعت تقول :

ـ خير لك ، ان تمتثلي لما يطلب منك يا عزيزتي ، فرجل مثل السيد سيمون له آراؤه الخاصة حول كيفية ادارة الشركة بالطرق الصحيحة . وأخشى أن عمه لم يكن دقيقاً ما فيه الكفاية ولا سيما في المدة الأخيرة ، ولا شك ان السيد سيمون سيرغب في توسيع الشركة أو اعادة تنظيمها ولربما الأمرين معاً . ان معظم اصحاب الشركات الجدد يفعلون ذلك .

ـ اتقصدين انه سيجري عملية تطهير ؟

بدا الاستغراب مجدداً على وجه الآنسة براون وقالت بحدة لعلها ليست من طبيعتها :

ـ ما هذا الكلام يا ليزا ؟

ثم عقبت بعد صمت قصير :

ـ قد تكونين مصيبة ولكن الأفضل لمصلحتك ان تحتفظي بآرائك هذه . هناك احتمال بأن نحصل معاً على ترقية عند اعادة التنظيم ولربما على مكافأة . لذلك لا تدخلي أية عداوة شخصية بينكما في محيط العمل .

ـ لن تحصل اية عداوة شرط أن يكف عن تحقير امي ، فجميع اهل المنطقة يعلمون انه لم يتكرم عليها بلحظة من وقته ليتحدث اليها ، ولا حتى أثناء الجنازة . انا لا افهم تصرفه المشين هذا !

فقالت الآنسة براون موافقة للمرة الأولى وبغضب :

ـ ولا انا ايضاً .

فانصرفت لترد على الهاتف الذي قطع عليهما الحديث .

وفي البيت مساء ، اثارت امها الموضوع مجدداً وأظهرت استغرابها مرّة اخرى لتصرف سيمون . كان ذلك يوم ليزا الأول في العمل بعد مرضها ، وبدا من الطبيعي أن تسألها امها عما سمعت من أخبار جديدة . تناولت ليزا فنجان القهوة مستغربة ان يلازمها الارتجاف طيلة اليوم ، ونظرت الى وجه امها الجذاب رغم مرور السنين وأجابتها متنهدة :

ـ لم اسمع في الواقع اخباراً جديدة يا ماما . الجميع يتساءلون بالطبع عن موعد عودته انما يبدو ان قضيتنا نحن ما عادت تهمهم ، فلم يأت احد على ذكر الموضوع باستثناء الآنسة براون .

فعلقت السيدة لوسون بمرارة :

ـ احسبهم يتصورون اني اخذت حصة جيدة من الميراث بالرغم مما اظهره سيمون من عدم اكتراث !

تنهدت ليزا ثانية حين انصرفت امها لتعد طعام العشاء . لا شك ان الحياة لم تكن سهلة بالنسبة الى ارملة رجل دين فقير ولديها طفلة عليها ان تعيلها . ولكم تمنت ليزا ، في السنوات الفائتة ، لو انها لم يعتمدا في عيشهما على مال سيلاس ردفورد ، وكان حدسها هذا في محله ، اذ اثبتته احداث الاسبوعين الماضيين . ومع ذلك فهي لا تستطيع ان تلوم امها على عدم الأخذ برأيها بوجوب الابتعاد عن عائلة ردفورد اذ اعتبرته رأي فتاة صغيرة متحاملة واعتقدت ان استمرارها هو لصالحهما على المدى البعيد .

والحقيقة انها عاشتا براحة مع سيلاس في هذا البيت الأنيس .

أما الآن ، فسوف يسعد ليزا كثيراً ان تنتقلا الى مكان آخر لبدء حياة جديدة مع اعترافها بالجميل ، ولكن امها لا تشاطرها شعورها وترفض التزحزح من مكانها قبل أن تتحدث الى سيمون ردفورد . كانت ليزا تدرك في قرارة نفسها ان امها تحملها مسؤولية غير مباشرة في كون ان سيلاس مات دون أن يوصي لها بقرش ، ولذا خشيت من احتمال ان تستجدي امها المال من سيمون وتذلها معاً .

حدقت ليزا في ألسنة النار المتراقصة في الموقد أمامها وفكرت انها لو كانت الابنة الحقيقية لابنة خال سيلاس لكان عطف على امها أشد ولكان خصها بشيء في وصيته . لكن ليزا كانت في الثالثة من عمرها حين تزوجت امها للمرة الثانية من جون لوسون ، الذي تبنى الطفلة فوراً ورباها كابنة من لحمه ودمه . لم يرزق من امها اطفالاً ، ولو حصل ذلك لما كان ميزهم عن ليزا بأي شكل . كان حبهما متبادلاً ، فهو الأب الوحيد الذي عرفته ، وقد تمردت على القدر حين خطفه منها فجأة ، وها هو القدر يخطف ابن عمته سيلاس بالطريقة نفسها تقريباً .

وأخذت أفكارها تشرد خلف صور الماضي الصعبة النسيان . تذكرت الأيام التي تلت وفاة والدها حين اضطرت هي وامها الى اخلاء المنزل الذي كان يشغله كرجل دين . بعد ذلك احاطها سيلاس بعطفه ودعمه ولولا ذلك لما استطاعتا ايجاد لقمة العيش الا بشق النفس . لقد دعاهما الى السكن في بيته مقابل ان تدير امها شؤونه وتساعد في اقامة الحفلات واستقبال الضيوف ، وهو ما برعت فيه تماماً ، كما تكفل بتعليم ليزا حتى نيلها الشهادة .

وقد جرت الأمور على خير ما يرام في ضوء هذا الترتيب ، وأظهرت السيدة لوسون موهبة كبيرة في فن الرسم بالاضافة الى مهارتها كمضيفة . ولجأ سيلاس الى اساليب ذكية لمساعدتها في بيع لوحاتها وكثيراً ما كان يبتاع لنفسه ما يعجبه من تلك اللوحات . اما اول بادرة خلاف بينهما فقد حصلت قبيل تخرج ليزا من المدرسة ، حين أبدت لسيلاس رغبتها بتعلم رقص الباليه كي تمتهنه في المستقبل . ولأول مرة فرض عليها سيطرته . شرح لها ظروف امها وأفهمها بطريقة لطيفة ولكن حازمة انه قد يتوقف عن

اعالتها إن هي اصرت على امتهان الرقص في لندن . وهكذا تنازلت ليزا عن طموحها هذا وتركت له أن يقنعها باختيار مهنة اكثر واقعية ، ووافقت بخضوع على تعلم مهنة السكرتاريا ، ومن ثم تدربت في مكتبه على يد الآنسة براون ، سكرتيرته القديرة . ولكنها أدركت في ما بعد انها لم تغفر له ذلك اما الآن وقد رحل فهي تشعر برغبة قوية في الافلات من بيته .

وها قد ذهبت بها مشاعرها بعيداً حين عادت امها وجلستا الى طاولة الطعام . وهنا على المائدة اخبرتها امها انها تحدثت الى محامي سيلاس أثناء غيابها في المكتب . فقطبت ليزا حاجبيها بامتعاض فقالت امها بحدة :

ـ اعلمي انه هو الذي اتصل بي فلا داعي لأن تنظري الي شزراً . انا لم افقد كرامتي كلياً ! فقد قال لي في سياق الحديث الذي جرى بشكل طبيعي تماماً ان توريث الأملاك لابن الأخ هي مسألة لحم ودم ، اضافة الى رغبة طبيعية لدى الراحل في الحفاظ على استمرارية اسم العائلة . وهذا ما فعله سيلاس مع ابن اخيه سيمون . . . لاحظي حتى اسميهما الأولين متشابهان . وبما ان سيلاس لم يتزوج ابداً ، فلمن غير سيمون يخلف اعماله التجارية ؟ هذا مجمل ما قاله لي المحامي بطريقة لبقة جداً . اتمنى فقط لو ان سيلاس ترك لي البيت مراعاة لظروفي وللقرابة بيننا .

ـ كنت اظنه مولعاً بك يا ماما .

كانت ليزا شاردة الذهن تعبث بطعامها بشهية مفقودة لم تستردها منذ مرضها الأخير . ثم أردفت بشيء من صراحة الشباب القاسية :

ـ عندما ساعدنا مادياً بعد وفاة والدي ، فلعله فعل ذلك من باب الأنانية وليعزز سمعته الطيبة عند الناس ، فأبي كان رجلاً معروفاً .

أجفلت الأم وهتفت تؤنب ابنتها :

ـ ليزا ! انت تبالغين في شكك ، فالتفاهم ، كما تعلمين ، كان شبه رسمي ومفيد للطرفين . لكنه وعد ، ولو بكلام غير واضح ، انه سيؤمن مستقبلنا مادياً في حال وفاته .

ـ ولم يترك لك قرشاً كما اتضح لنا الآن . هل تعلمين متى كتب وصيته الأخيرة ؟

ـ منذ زمن بعيد قبل أن نسكن معه . اذكر انه تحدث الى أبيك بشأنها . ليس سراً أن شقيق سيلاس الأكبر كان تشاجر مع والده وهجر البيت قبل

سنوات طويلة . وحسب معلومات سيلاس ان هذا الشقيق انجب ولدين هما الآن رجلا اعمال ناجحين في جنوب البلاد . اعتقد ان سيلاس كان على اتصال بهما بطريقة ما مع انه لم يذكر هذا لأحد ، مع العلم بانهما لم يزورا هذا البيت اطلاقاً . وقد اكتشفت بطريقة الصدفة ان والدهما توفي قبل بضع سنوات . هذا كل ما لدي من معلومات واذا تظاهرت بمعرفة المزيد سيكون ذلك مجرد تخمين ليس الا .

لاحظت ليزا نظرات امها المنقبضة فقالت بندم :

ـ آسفة يا ماما . لم اقصد ان اتخابث . في الواقع ان الآنسة براون لا تعرف الكثير ايضاً . كل ما اخبرتني اياه ان سيمون في الثلاثينات ولم تقدر ان تحدد عمره بالضبط .

اومأت السيدة لوسون ايجاباً وقالت :

ـ ذلك جائز . سبق وأخبرتك انه بدا طويلاً اسمر . لم اميز تقاسيمه جيداً لأن الطقس كان بارداً وكان هو مدثراً بثياب سميكة ، كما ان احتشاد الناس حال دون رؤيتي له جيداً . اني اوافق الآنسة براون على انه من الصعب تحديد سنه . وكما قلت سابقاً ، لم احاول الاقتراب منه ، وهو تجاهل اللياقة الاجتماعية ولم يكلمني بالرغم من ان الظرف كان يقتضي منه ذلك .

هزت ليزا كتفيها إشارة عدم اهتمام . فالمعلومات هذه ليست جديدة كما قالت امها . لكنها اغتنمت الفرصة وأعلمت امها باجازة الآنسة براون وبانها ستتحمل بالتالي مسؤوليات اضافية في غيابها واختتمت ذلك بقولها :

ـ يخيّل الي ان عودة سيمون ردفورد تخيفها بشكل ما ، ولولا خوفها هذا لبقيت هنا بالتأكيد كي ترئس لجنة الترحيب بعودته .

تجاهلت السيدة لوسون تعليق ابنتها المرتاب وانحنت الى الأمام تقول مشرقة الوجه :

ـ قد تجدين في ذلك فرصة سانحة لتعزيز مركزك يا حبيبتي ، وبخاصة ان الآنسة براون بدأت تقترب من سن التقاعد ، كما اننا مدينون لعائلة ردفورد ببعض الفضل .

ـ ماما ! لا احسبني احب البقاء في كنف آل ردفورد بعد اليوم . هل تمانعين في ذلك ؟

ـ امانع ؟

بدت مونيكا لوسون منذهلة من فرط الخيبة ولم تحاول اخفاء مشاعرها . هذا الاحتمال لم يخطر لها من قبل وظهر بوضوح انها لا تحبذ الفكرة وليست مستعدة لتقبلها . انطفأ البريق في محياها وهتفت اخيراً :

ـ لا اظنها فكرة سديدة على الاطلاق . من حسن الحظ اننا ما نزال نقيم في هذا البيت ، لكنك تعلمين كما اعلم ، ان الأمور قد تتغير في المستقبل واذا اصريت الآن على ترك آل ردفورد فقد يطلب الينا هذا الرجل ان نبحث عن سكن آخر .

ـ بوسعنا ان نجد شقة مناسبة . هناك شقتان فارغتان في منطقة ادجباستون التي قد تروقك .

ـ اعرف انك لن تجدي صعوبة في ايجاد عمل آخر وان دخلي من الرسم سوف يعين مادياً . انما من المستحيل ان نجد بيتاً كهذا تحيط به حقول وغابات ومياه بالرغم من وجوده في ضاحية المدينة . هذه المنازل اصبحت نادرة هذه الأيام ، وبوسعي ان ارسم في الغابة طوال النهار دون ان ارى مخلوقاً .

تنهدت ليزا وأشاحت عن وجه امها القلق . حدقت من نافذة الغرفة الصباحية الصغيرة التي تتناولان فيها الطعام عندما لا يكون لديهما ضيوف . كان الأفق محجوباً بمجموعة أشجار كثيفة في نهاية الحدائق وفي أسفل الحقل ، الا ان المنطقة حولها منعزلة تماماً وتتيح لها حرية كاملة . البيت بحد ذاته واسع وجذاب جداً وهي تعلم ان امها مولعة به ، انما يجب أن تدرك انه لا يخصهما ، بل لا يحق لهما أن تعيشا فيه بعد اليوم .

تنهدت في اعماقها وقد ندمت على تسرعها . كان يجب أن تعزز خط دفاعها قبل التحدث في الموضوع . انها لا تفكر في تغيير العمل بقدر ما تفكر في تغيير مكان السكن . ليس ثمة صلة تربطها بمدينة بيرمنغام مع انها تحبها كثيراً . صحيح انها عاشت فيها ما يزيد عن عشر سنوات الا انها ولدت في اوستراليا وعاشت في اماكن اخرى ، وطالما راودتها الرغبة في السفر منذ اقامتها مع عائلة ردفورد . لم تفكر في السفر خارج البلاد بل في الانتقال الى مكان آخر . لكنها متعلقة بامها وليس لها سواها في الحياة ولذا سيكون عليها من الصعب ، بل من المستحيل ان تتركها في الظروف

الراهنة .

ومع ذلك حاولت ثانية بقولها :

ـ بوسعنا أن نجد منزلاً صغيراً في الريف الذي تحبينه .

فسألت مونيكا بتهكم وضيق :

ـ هل لديك اية فكرة عما سيكلفنا هذا البيت الصغير ؟

صمتت ليزا مستسلمة . انها تدرك ارتفاع الأسعار . وقبل أن تفكر في شيء آخر تقوله سألتها مونيكا وقد توجست شراً :

ـ اما زلت تطمحين الى امتهان رقص الباليه ؟

شحب وجه ليزا قليلاً لأن ذكرى الماضي ما توقفت يوماً عن ايلامها . اجابت بجفاء :

ـ بالطبع لا . لقد فات الوقت على ذلك من حيث السن . لكني لا اعتقد ان العمل في شركة هندسية ، يوافق طبيعتي . كنت افكر في الاتجاه الى مهنة تناسبني كانثى .

ظهر الالتباس على وجه مونيكا الجذاب اذ هي لا تميل الى التغيير بكل انواعه . قالت تنصح ابنتها :

ـ لو كنت مكانك لتريثت قليلاً يا حبيبتي . ان العمل المكتبي هو ذاته في أي مكان ولا احسبك ستجدين شيئاً افضل الا اذا غيرت نوع العمل من اساسه .

عادت ليزا تحدق من النافذة وغمغمت :

ـ اظنك على صواب .

ـ بالطبع ، عليك ان تفكري في مستقبلك يا عزيزتي ولا موجب بالتالي لأن تقلقي علي .

لم يكن ذلك بالأمر السهل . هذا ما اتضح لليزا عندما غادرت الآنسة براون الى مايوركا بعد يومين ، وفور ذلك بقليل رن الهاتف ليعلمها بأن سيمون ردفورد في طريقه الى الشركة .

ـ من المفروض ان يصل بعد الغذاء .

كان صوت سكرتيرته في لندن صافياً وهادئاً جداً ، وقد اعطى صورة واضحة عن كفاءتها المصقولة كحجر ماسي .

أقفلت ليزا الخط ولكن ظلت تسمع رنين تحذير في اذنيها . انتابتها

رعدة برد وراودتها فكرة مجنونة في أن تكتب استقالتها بسرعة وتفر هاربة . الا ان قلقها الدائم على امها تغلب على تهورها ومنعها من تنفيذ الفكرة .

من الحمق أن يستبد بها الذعر قبل أن تتعرف شخصياً الى سيمون ردفورد . ان المسافات كثيراً ما تشوه الأصوات وتعطي انطباعات خاطئة ، والفتاة التي كلمتها قبل لحظات ، غريبة عنها تماماً . واذا كان سيمون يحرص على توظيف اناس اكفاء كسكرتيرته فلا يعني هذا بالضرورة ان يكون هو نفسه دقيقاً وصارم اللهجة مثلهم . . . فها هي تصوّره وحشاً حتى قبل أن يصل!

لكن تحليلها هذا لم يخفف من توترها العصبي مع مرور الساعات . وبعد أن تناولت غذاءها المقتصر عادة على الساندويش وقفت امام المرآة المشققة التي تزين احد جدران غرفة الحمام المهملة ، تتفحص مظهرها . لم تجد ما تبحث عنه من تطمين اذ بدت عادية الشخصية بالمقارنة مع مظهر الآنسة براون الواثق وقامتها المستقيمة كقصبة طويلة راسخة . اما هي فصغيرة الحجم ونحيلة . شعرها الكستنائي كثيف يبدو فاقد الحيوية بسبب مرضها وفي أمسّ الحاجة الى تسريحة جديدة ، ولذا عقصته في عقدة خلف رأسها . عيناها اجمل ما فيها ربما . . . فهما زرقاوان واسعتان ومائلتان الى فوق عند الجانبين كأعين الصينيين تقريباً ، لكن بشرتها ، كما الحال مع شعرها ، خالية من اشراقتها المعتادة . شفتاها ؟ حدقت اليهما بارتياب ولم تتعزّ كثيراً بجاذبيتهما . . . مظهرها ككل ، بعيد كل البعد عن احداث انطباع فعّال . تنهدت باستسلام وغادرت الغرفة .

أطل بيل برايت ، وهو احد المهندسين المدنيين في قسم اعمال الشركة الخارجية من فتحة الباب ، وعبس باستياء حين زفت اليه ليزا الخبر . سوف ينقله بدوره الى الموظفين في قسم المحاسبة وهكذا يوفر عليها المهمة . وقالت تحذره مقطبة الجبين :

ـ قد يجري بعض التغييرات على الارجح هنا ان لم يقرر بيع الشركة .

اختفت ابتسامته الزاهية واغلق الباب خلفه . ثم تقدم من مكتبها قائلا برصانة :

ـ الشركة في حاجة الى تغييرات جذرية في رأيي . لقد سمعت لتوي ان شركة بولتون قد نالت المناقصة في مشروع بناء المسابح في ليتل ملتون فقدناه

نحن. وبحسب ما فهمته يا عزيزتي ليزا، لم يتسلم اصحاب الشأن عرض مناقصتنا، اي انه لم يرسل اليهم ابداً! وهذا التقصير سوف يغضب رئيسنا الجديد.

التفتت اليه ليزا قلقة. ان بيل برايت مهندس موهوب في أواخر عشريناته ويعمل في الشركة منذ عامين. وبالرغم من تصرفه الموحي بالمرح واللامبالاة الا انه ينزعج اشد الانزعاج من تقصيرات كهذه تسبب في خسارة العقود. وهو كان يأخذ على سيلاس ردفورد اهتمامه المتضائل لما يجري. هذا ما استنتجته ليزا من تعليقات بيل الغريبة خلال زياراته المتكاثرة للمكتب منذ ان بدأ سيلاس يتقاعس عن الخروج اخيراً قالت:

ـ دعني افكر. اني اتذكر بوضوح اني وضعت الاوراق في صندوق البريد، اذن لا بد انها ارسلت. اذكر ايضاً ان السيد ردفورد راجعها بامعان.

ـ لكن الشركة تؤكد انها لم تتسلم مناقصتنا. الم يتأكد احد من صحة الامر؟

قطبت ليزا وقالت بتردد:

ـ لا ادري تماماً. قد يكون السيد ردفورد فعل ذلك الا انه كان يسهى في معظم الاحيان اما الآنسة براون، فلو انها علمت ذلك لاعلمتك حتماً.

ـ لكن الآنسة براون، طيب الله ذكرها، ليست هنا لنعرف الحقيقة منها، وعلينا ان ننتظر عودتها من حيث هي موجودة.

ـ انها في مايوركا، ولا موجب لان تتهكم يا بيل. الاخطاء تحدث احياناً لكني متأكدة ان الآنسة براون ليست هي المسؤولة عما حدث.

ـ الآنسة براون لا تحمل مسؤولية اي خطأ، واظنك مصيبة يا ليزا في تأكيدك على كفاءتها. لكن كيف تفقد مناقصة كهذه استهلكت منا جهداً كبيراً؟ اتراها ادرجتها في اضبارة الالغاز المستعصية الحل؟ كل ما ارجوه ان لا تقع المصيبة على رأسي.

جلس على حافة مكتبها وتابع قائلا:

ـ لا اعلم ان كان الرئيس الجديد اكثر ذكاء من العجوز الراحل. ولكني آمل ان يكون كذلك لمصلحة الجميع!

ـ هذا اجحاف منك يا بيل وانت تعرف ذلك!

استغربت ليزا دفاعها الفوري دون ان تدري سبباً له. فالعدل يقضي بان تقر بفضل سيلاس ردفورد عليها ولو عبّرت عن ذلك باظهار وفاء خارجي. لقد عاملها وامها بمنتهى الاكرام بالطريقة التي ناسبته. صحيح انه ابتعد عنها عاطفياً في ايامه الأخيرة ولعل تدهور صحته كان السبب. وقد يكون اعتلاله سبباً لجموده وتكاسله، والا فكيف يفسر فقدان عقد هام وتدهور العمل العام بصورة تدريجية في الشركة؟ وتابعت تقول:

ـ كان سيلاس حاذقاً في عمله مكباً عليه بنشاط، لكن لا احد منا ادرك، على ما يبدو، انه تقدم في السن. وكما قلت سابقاً، قد يعمد ابن اخيه الى بيع الشركة ولذا لا جدوى من استمرار النقاش. من يدري، فقد نتوظف قريباً في شركة اخرى.

ـ ربما...

هز الشاب كتفيه باستخفاف وشرعت ليزا ترتب مكتبها. راقبها بامعان اذ بدا له سطح المكتب لماعاً ولا يحتاج الى تنظيف. تلكأت نظرته على يديها النحيلتين ثم نظر الى وجهها وقال مبتسماً:

ـ ان كنا في معرض تبادل النصائح فاشير عليك بالاسترخاء. ان اصابعك ترتجف.

اضطربت وتقلصت يداها على دفتر الملحوظات. ثم لاحظت نظرة الدعابة في عينيه فابتسمت له قائلة بصراحة:

ـ اشعر بصعوبة التركيز، ولكني لا استطيع الجلوس بلا حراك في انتظار وصوله.

قال بيل وهو يحدق اليها مفكراً:

ـ لديك كل الحق. ما رأيك لو تناولنا العشاء معاً هذا المساء؟ انت بحاجة الى الاسترخاء. نحولك شديد واعصابك متوترة ولا اريدك ان تذوبي بالتدريج.

ـ لقد نقص وزني مؤخراً انما ساعوضه قريباً، فلا داعي لان تغرقني بالمديح!

زمت شفتيها بشيء من الاغراء كي تكسب الوقت الا انه ادرك قصدها وعاد يقول بالحاح:

ـ لا عليك من ذلك. ما رأيك بالعشاء؟ انت ماهرة يا عزيزتي في

التملص مني انما ثقي اني لن ادعك تتهربين الى الابد.

حدقت اليه متوردة الوجه واهدابها ترمش بحيرة. ترى لماذا يخيفها الحاحه بدل ان يفرحها؟ انها توده وتستمتع برفقته لكنه بدأ يتقرب منها بجدية. انها تعتز بصداقتهما البريئة لكن هذه العلاقة بدأت تتغير مؤخراً من جهته. بيل شاب دمث الرفقة وكلاهما يتمتع بروح دعابة تعزز صداقتهما الا انها تشعر في اعماقها بانه بدأ يحبها فيما عواطفها تجاهه بقيت كما هي.

في اعماقها شعور ارتياب ليس بالجديد عليها واعراضه مألوفة، انكماش غريب من اي ارتباط يتعدى العلاقة البسيطة ونفور متأصل من أية لمسة حميمة تتخطى حدود الضرورة. هذا الشعور طالما حاولت ان تخفيه عن الآخرين وان تتجاهل وجوده في نفسها، احساسها بحاجة متزايدة الى علاقة حميمة تقيمها مع رجل ثم تعجز في الوقت نفسه عن التجاوب بعمق بين ذراعيه. احياناً تنحو باللائمة على تربيتها المتزمتة لكونها زرعت فيها هذا الانكماش الحساس الذي يروق لها من نواح ويزعجها من نواح اخرى.

هبط بيل عن حافة المكتب فابتلعت ريقها الجاف وعلقت بقولها:

ـ ليتك تتعقل يا بيل وبخاصة اثناء وجودك في المكتب.

استدار اليها متوعداً فقفزت واقفة وقالت وهي تتراجع مبتعدة عنه:

ـ يجب ان انجز بعض الاعمال قبل وصول السيد ردفورد، اما انت يا بيل رايت، فيجب الا تدعه يضبطك هنا في ما سيبدو له مشهد تسلية واهمال واجبات.

تجاهل موعظتها القصيرة وتقدم منها بجرأة كما لو ان غياب الآنسة براون قد افرغ رأسه من كل تعقل. قال:

ـ لا تتجهمي يا ليزا! تعلمين كم اودك وكم يحلو لي ان استمتع معك بعض الشيء. ما عدت طفلة لتحتاجي الى تبرير. ثم انك لم تجيبي على سؤالي، هل ستتناولين العشاء ام لا؟

ـ لا اظنها ستكون فكرة صائبة. ليس هذه الليلة في اي حال. لم لا تدعو فتاة غيري قد تكون اقدر مني على امتاعك؟

ـ لا تكوني سخيفة يا حبيبتي. بامكانك ان تستمتعي وتمتعي غيرك اذا

استرخيت قليلا انما لا داعي لان تفسري كلامي حرفياً.

جذبها فجأة وكأنه ينوي اثبات وجهة نظره، ثم عانقها.

وفي تلك اللحظة فتح الباب فوقع بصرها لأول مرة على سيمون ردفورد.

الضجة البسيطة في المكتب الخارجي لم تنذرها بوصوله اذ كانت تركز على الافلات من قبضة بيل. ثم فتك بها الرعب حين وجدت نفسها تحدق مباشرة في عيني سيمون ردفورد من فوق كتف بيل!

لمحته ولم تجد وقتاً للتحرك او التفكير فاتسعت عيناها بخيبة وذعر. كان طويلا، اسمر ضخم الجثة، بل كان ماردا لانه حين وقف خلف بيل بدا هذا الاخير قزماً مع انه يعتبر طويلا. عيناه اذعرتاها اكثر من اي شيء آخر بلونهما الرمادي الخفيف وسوادهما المتزايد في البؤبؤين. انهما ادكن من اي عينين رأتهما في حياتها. الآن تبدوان خاليتين من التعبير انما تنظران اليها بغرابة وهما تقيّمان مقاومتها الضعيفة التي بعثت فيها قشعريرة باردة.

تقلص جسمها المفاجيء اوحى لبيل بوجود خطر ما. التفت الى الوراء بسرعة ثم افلتها واحمر وجهه حين ادرك من هو. استقام في وقفته متظاهراً بالتماسك واستدار ليواجهه. سوّى ربطة عنقه باصابع مرتجفة فضحت ذعره الداخلي وقال:

ـ آسف يا سيدي. جئت فقط لارى ان كنت وصلت. انا بيل برايت، من قسم الهندسة المدنية.

لقد دخل سيمون الغرفة وهو يومىء برأسه بلا اكتراث وتجاهل يد بيل الممدودة لمصافحته وكذلك الابتسامة العريضة التي زينت وجهه الانيس. اجابه بصوت يخالطه التهكم:

ـ ساتصل بك في الوقت المناسب، اما الآن، فاسمح لي يا سيد برايت ان ابدأ تعرفاً آخر.

ـ بالطبع.

احمر عنق بيل وحاول تجاهل ليزا ثم خرج من الغرفة وكأنه لا يصدق انه نفذ بجلده.

لم تلمه ليزا على تصرفه المذعور فهي نفسها اخذت ترقب الرجل بقلق وهو ينزع معطفه السميك المصنوع من الجلد.

لقد تركها بيل تواجه الورطة بالرغم من وفائه المزعوم. لا يسعها التراجع كما فعل هو ويجب ان تواجه هذا الرجل بمفردها. شكت في قدرتها على ذلك. لقد اخفقت كل من امها والآنسة براون في اعطائها الوصف الصحيح عنه. فهي تصورت شخصاً طويلا هادئاً انما هذا الرجل لا يمكن ان يصنف هكذا. انه وقح اكثر منه مهذباً، رجل ذكر بكل معنى الكلمة انما قريب من عالم النساء في الوقت نفسه. هذه الحقيقة اكدتها نظرته السريعة الى وجهها وجسمها النحيل.

قال بحزم وكلماته تشكل سؤالا وافادة في وقت واحد:

- لم تكوني هنا حين زرت الشركة قبلا.

- كلا...

ارتجفت اطرافها وتهاوت على مكتبها بالرغم منها. شل تفكيرها ايضاً فلم تفكر في التعريف بنفسها كما فعل بيل، وبدلا من ذلك اردفت بجمود:

- آسفة يا سيد ردفورد، الآنسة براون غائبة وقد ارتأت اني استطيع الحلول مكانها.

التقى حاجباه السوداوان فوق وجه اسمر اللون، وقال مظهراً الاستغراب:

- احقاً؟ اتقصدين القول انك استدعيت للتو من مجمّع للضرب على الآلة الكاتبة؟

فردت متلعثمة:

- كلا، كلا. كنت في اجازة مرضية عندما جئت لتحضر مأتم عمك. يا لورطتها! توقفت فجأة وقد استبدت بها الحيرة. هل خاطبته بمألوفية زائدة؟

تنهد وعاد يستجوبها متضايقاً:

- قلت ان الآنسة براون غائبة. تقصدين انها ستغيب اليوم فقط؟ هل ذهبت في مهمة تخص الشركة؟

- لا... اقصد... انها في اجازة.

- يا للغرابة!

سلط بصره الاسود على عينيها الزرقاوين واردف بصوت متوتر:

- هل لي ان اتجرأ واسأل عن مكانها؟ انا لم آت الى هنا لاضيع وقتي مع

معاونات تنقصهن الخبرة والتدريب.

تحديقه المركز عليها يثبت انه يقصدها بكلامه. شد ذلك من عزيمتها ومكّنها من الاجابة بثبات وبرود:

- ثق يا سيد ردفورد اني لست مساعدة ناقصة التدريب، وسوف تجدني في منتهى الكفاءة، ولولا ثقة الآنسة براون بقدرتي على تحمل المسؤولية لما سافرت الى مايوركا لقضاء اجازتها.

- وهل تصرفك لدى دخولي نموذج لكفاءتك هذه؟ ام ان الآنسة براون الوقورة تسمح بتصرف كهذا؟ من اليوم فصاعداً، تأكدي يا آنسة- مهما كان اسمك- اني لن اسمح به!

ثم اضاف بسخرية ساحقة:

- على فكرة، هل يضايقك كثيراً ان تطلعيني الآن على اسمك؟

٢ـ اهتزت غضباً ولم ترقها نظرته المنزلقة على جسمها والتي اوحت معنى مزدوجاً لعبارته الجريئة. الا انها احست في اعماقها باستجابة مخيفة

ذكرى اللقاء الأول انحفرت تفاصيله في ذاكرة ليزا لمدة طويلة. فسيمون ردفورد دخل حياتها كالاعصار. تصورت انه سيكون صورة طبق الأصل عن عمه الا ان اختلافه الشديد عنه اوقعها في حيرة من أمره. كانت تنوي التصرف بهدوء واتزان، لكن تشابك الملابسات عاكسها في البداية. وتكفي محاولته الواضحة لاحراجها بالنسبة الى بيل.

لقد عبق وجهها والتهب كالنار حين سقطت كلماته اللاسعة في اذنيها البائستين. توقعت منه ان يشمت بالحادثة لا ان يستعملها كسلاح يعزز بها حدة لسانه السريع التهجم. كان يجب ان تدرك ان رجالا مثل سيمون ردفورد لا يتساهلون ازاء تصرفات كهذه بل يعوّلون دائماً على انطباعاتهم الاولى وقلما يأبهون بعد ذلك لفتاة على غرارها.

اهابت بها كرامتها الا تناقشه موضوع بيل اضافة الى عجزها عن الدفاع لكونها بدت متلبسة بالذنب. انتقل ذهنها الى سؤاله الاخير الذي دل على جهله لهويتها. لا يجب ان يعلم ان امها كانت متزوجة من ابن خال والده. خطر لها ان تذكر فقط وجود قرابة بعيدة بينهما، اذ ان معظم الناس لا يعرفون انها لم تكن ابنة جون لوسون الحقيقية، لو قالت هذا لاستطاعت ان تنقذ الموقف وتمهد الطريق لنفسها الا انها شكت في مفعول هذا الخبر على سيمون ردفورد. تأملت الخطوط على جبهته وحول فمه فحدست انه يعاني ارهاقاً مع ان فكرة كهذه تناقض لياقة جسمه القوي المتين.

أحسته ينتظر جوابها على مضض فدعت الى الله ان يشد من أزرها. قالت بعد ان أخذت نفساً عميقاً:

ـ اسمي لوسون. ليزا لوسون. امي كانت المشرفة في بيت عمك. لكنك تعرف هذا بالطبع.

اضافت العبارة الأخيرة لتزعزع هجومه ولتثير حنقه كما أثار حنقها، فهو بطبيعة الحال لا يعلم شيئاً عن اوضاع عمه البيتية وسيفاجئه الخبر حتماً. رمقته بنظرة جانبية سريعة لتستطلع ردود فعله، فسارع الى القول بنظرة ساخرة:

ـ يا لدمائتك وذكاءك يا آنسة لوسون. هل تراك تسحبين السجادة من تحت قدمي؟

ارخت رموشها لشعورها بالذنب واجابت بجدية:

ـ بالطبع لا يا سيد ردفورد.

ـ لا-؟

برقت عيناه بارتياب ثم سحب كرسيا جلس عليه بالطريقة المعكوسة وكتّف ذراعيه على ظهره. قال وهو يتأملها واجماً:

ـ لم اجد وقتاً لاقف على اوضاع عمي المنزلية مع انه خطر لي ان تكون لديه مدبرة منزل لكونه عاش عازباً. كذلك لا يدهشني انه أمّن عملا في الشركة لابنة مدبرة بيته. والآن، هل تودين اتحافي بخبر آخر قبل ان نبدأ العمل؟

هزت رأسها وهي تشعر بكره تجاهه. لن يكون سهلا ان تتغلب على هذا الرجل الذي يفوقها دهاء. لكنها ما تزال تحتفظ بورقة رابحة ستؤجل

كشفها الى وقت أنسب. التقطت دفتر الملحوظات وغمغمت بنعومة:

ـ ليس لدي ما اضيفه يا سيد ردفورد. هل تنوي استعمال مكتب عمك؟

بدا انه ما يزال يشك في قدراتها وقال متفحصاً اياها بامعان:

ـ منذ متى تعملين هنا يا آنسة؟

ـ منذ ان تخرجت من الكلية المهنية.

ـ متى كان ذلك؟

ـ منذ سنة او سنتين.

تقبل جوابها المبهم دونما فضول وتابع يستوضحها:

ـ اذن، يمكنك القول انك عرفت عمي جيداً في محيط العمل اضافة الى محيط البيت؟

ردت وهي تركز عليه بصراً حذراً:

ـ اعتقد ذلك يا سيد ردفورد.

ـ لكن يبدو ان لديك بعض التحفظات؟ بأي من الجانبين تتعلق يا ترى؟ البيتي ام العملي؟ ان تعاونك قد يفيدني يا آنسة لوسون، مع العلم انه لدي ايضاً بعض التحفظات. لقد عرفته في المحيطين معاً- ان كنت عشت مع امك في بيته- انما من الجائز ان تكون شهادتك مجروحة. انك تدركين على الارجح اني اتخبط في الظلام الى حد ما- وهذا لا يعني بالطبع اني انوي التخبط طويلا. انا لم اعرف عمي لسوء الحظ وكان من الجائز لو عرفته ان لا نميل الى بعضنا البعض.

ـ لكنه ترك لك املاكه وهذا دليل محبته.

ـ هل قلت ذلك من باب التطمين يا عزيزتي ليزا ام قصدت به شيئاً آخر بالمرة؟ لقد استشفيت بعض التأنيب في عبارتك وقد اكون مخطئاً بالطبع.

رمشت ليزا اهدابها ازاء نظرته المتفحصة ولم تفتها نبرة السخرية الخفيفة في صوته الحريري. احتارت لكونها هي نفسها غير واثقة من قصدها. هل هي تدين لسيلاس ردفورد بشيء من الولاء؟ ربما الامر كذلك، فهذه السخرية المبطنة في صوت سيمون حركت في نفسها شعوراً دخيلا ومرفوضاً. فسيلاس ردفورد، والحق يقال، كان صادقاً ومثابراً على عمله، ولم يتغير الا في الاشهر القليلة الفائتة. ومع ذلك حافظت الشركة على

ازدهارها في هذه المناطق، ومن المفروض ان تشكل ارثاً ثميناً! انها موظفة عادية، وهي اذا صارحت سيمون ردفورد برأيها هذا، فسوف يظن فيها الوقاحة! لذا اجابته بحيرة وتلعثم:

ـ اظنني قصدت انه لا شك وثق بفطنتك المهنية. اذ أعلم انه لم يتعرف اليك شخصياً لكن معرفتي الوثيقة به تحملني على الاعتقاد بانه ما كان ليترك هذه الشركة، التي كدح فيها طوال حياته، الا لشخص قادر على النهوض باعبائها وتعزيز ازدهارها.

فقاطعها بقسوة:

ـ وما الذي يضطرني الى ذلك؟ فأنا املك شركة ناجحة في الجنوب ولا احب تسليم شؤونها لاخي البليد الطيب القلب لبينما اجد حلاً لمشاكل شركة عمي الصغيرة.

غضبت لسبب ما. هذا الغضب جعلها تقول بجرأة:

ـ ان قمت ببيع الشركة فستناقض بذلك رغبة عمك.

ـ لكني لا انوي بيعها. ان كان الفضول يثيرك الى هذا الحد فدعيني اطمئنك يا آنسة لوسون! انا لا اتخلى عن شيء ينال اعجابي، وهذه الشركة تعجبني اضافة الى امور اخرى.

ـ لا ريب ان الموظفين سيسرون بهذا النبأ.

اجابها:

ـ خاصة ان اسعاد الموظفين صعب جداً في هذه الأيام!

عضت شفتها بحنق واستغربت حدة نفورها منه، كذلك اذعرتها ثقته الشديدة بنفسه. حسبت انها ستجد صعوبة في العمل معه وها هي تكتشف انه طاغية! حاولت اخفاء عدائها المتزايد له فيما اخذت تفكر في تلميحاته الغامضة.

فاذا كان يعتزم ادارة الشركة فان ذلك سيزيد الدوافع الموجبة لتركها لها. انها مقتنعة باستحالة الانسجام العملي بينهما، فهي تفضل الرجال الدمثين اللطفاء في تعاملهم على رجال مماثلين له. انه يعرّض مشاعرها للأذى ويجرحها بكل كلمة مزدوجة المعنى يقذفها صوبها! عندما تعود الآنسة براون سوف تنفذ خطة الرحيل مهما حصل. حدجته بنظرة جليدية وقالت بجرأة:

ـ ان كنت تنوي البقاء فلا ريب انك ستعيش في بيت عمك.

ـ قد افعل ذلك في النهاية. بالطبع سألقي نظرة على البيت وقد اذهب معك بعد ان ننهي العمل. محامي العائلة عرض ان يرافقني اليه الا اني لم اجد داعياً لازعاجه. لم يبد سعيداً بالذهاب لسبب ما، ولذا انا متأكد انه لن يمانع. وخلال الاسبوع المقبل أعتزم الاقامة في فندق رونسون. لقد حجزت جناحاً فيه، او بالاحرى حجزته سكرتيرتي من لندن.

رمقته ليزا بحيرة. من الواضح انه يحرص على عدم التورط ويدرك مغبة القرارات السريعة. ان تصرف المحامي لفته ولا شك الى ان الاوضاع هنا ليست تماماً كما تبدو. التمعت عيناها وركزت اهتمامها على محياه القاسي الوسيم. ان خبرته الطويلة علمته ان لا يتدخل في الاوضاع قبل ان يوازن بين فوائدها وخساراتها. عقله يحسب كل شيء ويستعمل دهاءه بسهولة. والمرء لا يقدر ان يحارب شخصاً مثله الا بسلاحه نفسه ومن المستبعد ان تنجح امها في مواجهته.

احست فجأة بامتداد الصمت وانه ينتظر جوابها. اكتفت بايماءة ايجابية، فتغير مزاجه وقال مبتسماً:

ـ اذن نحن متفقان على زيارة البيت الا اذا كان لديك موعد مع صديقك الشاب.

ـ بيل برايت ليس صديقي بالمعنى الذي تقصده.

ـ عظيم. من المفيد لي ان اعرف اشياء مهمة عن نفسيات الموظفين المقربين مني. هذا كل ما في الامر. اما الآن فلننصرف الى العمل.

عملا معاً دون توقف حتى السادسة مساء. ولو لم يحن موعد عودتها الى البيت لكان على الارجح تابع العمل. كذلك لم ينس اتفاقهما بالرغم من العمل الضخم الذي انجزه ذلك العصر. جلست الى جواره في السيارة القوية المحرك التي قادها من لندن وهي تحس بنشوة غريبة للمسيرة الرائعة التي سارت فيها الأمور فالعمل معه قد اكتسب ابعاداً جديدة مع ان معظمه اقتصر على الروتينيات الاولية، اذ انه درس التفاصيل الاساسية لاوضاع الشركة ثم قام بعمليات فرز واختيار وشطب وتقييم ثم هيأ قاعدة عمل شاملة ليبني عليها تقويماته المستقلة في اليوم التالي. اكد لليزا انه فعل كل ذلك ليكون واثقاً من معلوماته حين يلتقي مختلف رؤساء الاقسام

ويناقشهم في التفاصيل.

لم تشك في مقدرته الفائقة. لكن مشاعرها الشخصية حيّرتها اذ داخلها احساس غريب ومقلق بانهما يتخاطبان نفسياً على موجة واحدة، فعلى الرغم من طلباته البادية الصعوبة، وجدت نفسها تتجاوب معها بسهولة وبشكل تلقائي تقريباً. لقد عمل بسرعة واجهدها معه وكأنه وثق بقولها انها سكرتيرة كفوءة. بدا الامر تقريباً كما لو انه حركها كدمية وجعل افكارها تتناغم مع افكاره في تآلف ذهني محض ومنفصل تماماً عن اي شعور جسدي مما ابعدها كلياً عن احاسيسها السابقة. انه وضع جديد لا يجب ان تتجاهله لكنها اصرت على تجاهله اذ لم ترغب في التعامل مع هذا الرجل وتمنت، لسبب غامض، لو تهرب من مكان وجوده باسرع ما تستطيع.

اكدت لنفسها بوجوم، وهما يخترقان الشوارع بسرعة، انه لن يجد، على الاقل، ثمة سبب يدعوه الى انتقاد كفاءتها.

وهنا علق قائلا وكأنه قرأ افكارها:

ـ انك، تقريباً، لا تقلين كفاءة عن سكرتيرتي في لندن واذا دربتك اكثر، فقد تصبحين افضل منها.

فسمعت نفسها ترد بوقاحة:

ـ اذن لدي امل بان اصبح مثلها.

انه، على الارجح، يعتبر السكرتيرة مجرد امتداد للآلة الكاتبة، وجزءاً من الاجهزة العامة التي يدفع ثمن صيانتها اسبوعياً كي تستمر في العمل على اكمل وجه. تذكرت صوت سكرتيرته على الهاتف وفكرت كم هما يليقان ببعضهما بعضاً.

اضاف يقول بغموض القاها في دوامة جديدة:

ـ انت شابة قابلة للتكيف وسوف تصلين افضل المراتب حتماً عندما افرغ منك.

ابتلعت ريقها وحاولت استيعاب كلامه اما لم ترقها نكهته. هل تراه يتوعدها بشيء؟

استدار اليها مرفوع الحاجبين وسألها باسماً:

ـ اليس لديك تعليق؟

ـ اخشى التعليق بشيء يورطني. انك تجعلني ابدو كقطعة اثاث تعتزم

صقلها. من جهة اخرى، قد اخطىء غداً واسبب لك خيبة كبيرة.

- كلا، لن تفعلي. ان الرجل لا ينجح في دنيا الاعمال يا آنسة لوسون، الا اذا كانت لديه القدرة على تقييم الرجال والاوضاع. قد يكتسب هذه القدرة على مر الزمن، لكن بالنسبة الي شخصياً، فبوسعي ان اقيّم الموظف في خلال عشر دقائق، رجلا كان ام امرأة.

اغضبها اعتداده الكلي فقالت بحنق:

- اذن استطعت ان تقرأني ككتاب مفتوح؟

- النساء يا عزيزتي ليزا مجموعة متناقضات ولذا يختلفن كلياً. والرجل الحكيم لا يدعي قدرته على فهمهن ظاهراً وباطناً.

- ان كنا نختلف عنكم فلأنكم تصرون دوماً على احاطتنا بالغموض.

قال وهو ينعطف مسرعاً بالسيارة:

- قديماً كانت الزوجة الصغيرة تنتظر في البيت عودة زوجها اما الآن فتعود معه اليه. وهكذا فقدت هالة الغموض.

- وانت الا تحبذ ذلك؟

- لنقل اني حين اجد متسعاً من الوقت، اشعر بحنين معين الى عصر غابر كان يعيشه رجال كثيرون من قبلي.

- ان بحثت جيداً فبوسعك ان تجد لغاية اليوم تلك الحارسة الأمينة التي تهرع اليك بالخف الدافىء لحظة عودتك.

- لكنك لا تطمحين الى ان تكوني واحدة منهن؟

احست بشيء ينكمش في داخلها وبدا نفورها واضحاً في التجهم الذي كسا وجهها. قالت برد فعل سريع متهور:

- كلا، فانا افضل عملي على اية صفقة من هذا النوع.

ضحك بازدراء وقال بذكاء:

- الآن الصفقة تشتمل أيضاً على رجل؟

تقلصت كل اعصابها ثم غمرها ارتياح عارم حين رأت انهما وصلا المنعطف المؤدي الى البيت. وهكذا اتيح لها ان تتجاهل تعليقه الصائب وقالت بسرعة:

- خذ يمينك بعد التقاطع. فالبيت يبعد بضعة كيلومترات نزولا على الطريق.

اشاحت عنه وجهها المتورد وحدقت من النافذة بعيداً. تركا الطريق العام وبدأ السير يتباطأ ثم انقطع نهائياً حين قاد السيارة على الدرب المسيج باشجار عالية. قال معلقاً:

- مكان أنيس، بل جيد. جيد جداً.

بلغا مدخل البيت المكسو بحصى احمر. فأضاف:

- تصورت اني سأجد واحداً من تلك الصروح المخيفة التي يدفن العزاب الكهول انفسهم فيها احياناً.

وفي الحال، اوقف السيارة وقفز منها ثم اخذ يجوّل نظرة فاحصة في شكل البناء المنخفض الانيق ويتأمل باعجاب قرميده الاحمر العتيق والملتمع من خلال عرائش اللبلاب والياسمين الارجواني التي كان سيلاس شغوفاً بها.

اشعة شمس ابريل/ نيسان المائلة، عززت تناغم البيت والحدائق مع الهدوء الشامل، فاستطاعت ليزا ان تتفهم عزوف امها عن ترك المكان، فهنا ينخفض ضجيج المدينة الى غمغمة هامسة، وانسياب مياه الجدول الفضية في وسط المرج يعطي انطباعاً مثالياً بانهما تعيشان في عمق الريف.

صفق سيمون باب السيارة وتبعها الى داخل البيت. قالت بشيء من الانزعاج:

- اعتذر لكون امي ستمضي السهرة عند بعض الاصدقاء.

دخلا من الباب الخلفي لظنها بانه سيتوقع تصرفاً كهذا من ابنة مدبرة المنزل، وتابعت تقول:

- يسعني بالطبع ان اريك البيت بدلا عنها الا اذا كنت تفضل استكشافه بنفسك. ان تصميمه الداخلي بسيط نسبياً.

- تهمني الآن رؤية الاراضي خارج المنزل، ومن السهل ان اقوم بزيارة ثانية في حضور امك. اعتقد انها لن تمانع في البقاء لبينما اقرر مصير البيت؟

تظاهرت بانها لم تفكر قبلا في هذه النقطة فقالت باحتراس:

- لست متأكدة من موقفها.

قادته عبر المطبخ القديم الطراز الى الردهة الداخلية، ثم ترددت قليلا قبل ان تفتح باب غرفة الاستقبال. ان مكانتها لا تسمح لها بالطبع ان تستعمل هذه الغرفة لكنه صاحب البيت الجديد ولا يمكنها ان تبقيه في المطبخ. قالت بسرعة:

ـ كان عمك يقضي معظم اوقاته هنا. توجد غرفة مكتبة كان يلجأ اليها في الشتاء. لكن هذه الغرفة كانت المفضلة لديه.

ـ حسناً...

عبر الغرفة وتوقف امام الموقد الحجري فامتد بينهما الصمت لبضع لحظات. لقد بدأت تعتاد على نظرته التي تحوم بسرعة ودقة لتتفحص الاشياء. ترى الا يتوقف ابداً عن اجراء الحسابات؟ وقفت داخل العتبة قليلا تراقبه بقلق زائد عن السابق. هل يفترض منها ان تعرض عليه شراباً وهو صاحب البيت.اربكها الوضع فجأة وندمت لانها لم تصارحه في المكتب بأن امها لن تكون موجودة. لا شيء يجنى من هذه الاساليب الحمقاء والمتهورة.

قال بلطف قاطعاً عليها افكارها:

ـ قد تسترخي اعصابك اكثر اذا نزعت معطفك وتناولت معي شراباً بدل ان تحومي هناك كظبية مذعورة تستعد للفرار.

ـ شكراً لك.

فكت ازرار معطفها باصابع مرتبكة فسارع الى حمله عنها والقاه على ظهر مقعد. اتجهت بخطى واثقة الى خزانة الشراب وراقها انه ترك لها مهمة الضيافة.

عاودها الاضطراب فتشاغلت بسكب الشراب. لقد بدأت تدرك مغبة تصرفها الاحمق، فالنار التي اوقدتها امها قبل براحها البيت ستوحي الى سيمون ردفورد حتماً بانها تأخذان كامل حريتها في البيت... قد يظن فيها الوقاحة لكونها تستعملان غرفة الجلوس بدل ان تلزما جناح الخدم الخاص بهما. ناولته كأسه وتساءلت ان كان يتوجب عليها ان تدعوه للعشاء لانه سيقضي الليلة هنا على ما يبدو.

لكنها اخطأت في تصورها، اذ ما كادت تستذكر موجودات الطعام في المطبخ، حتى وقف قافزاً على قدميه وتقدم ليقف امام احدى اللوحات ويقول بتكاسل:

ـ يبدو ان ذوق سيلاس الفني كان بدائياً.

ثم اشار الى الخطوط الدالة على هواية واضاف بجفاف:

ـ لا يمكن القول انها احدى لوحات كونستابل.

تورد وجهها ولاذت بالصمت. غصت بالشراب الذي جرعته بسرعة ومع انها عنفت نفسها على تصرفها غير اللائق الا انها رحبت بالغصة التي اعفتها من الجواب. تعلم جيداً ان امها ليست رسامة من الطراز الاول لكن اسلوبها جذاب ومقبول من الناس. وهذا الرجل الدقيق الفطن يستطيع بالطبع ان يكتشف ضعف الرسم فوراً. كان بامكانها ان ترد بان هناك فارقاً كبيراً بين ثمن هذه اللوحة وثمن لوحة لكونستابل، وان سيلاس لم يكن رجلا متعجرفاً، لكنها لا تستطيع، في وضعها الحاضر، الا ان تحتمي بالصمت. التفت اليها سيمون مستغرباً سكوتها ثم استدار فجأة وقال متفرساً في محياها المتوتر:

ـ لدي عدة امور تحتاج الى انجاز، وانت، لكونك كنت مريضة، فخير لك ان تنامي باكراً. غداً سيكون يوماً حافلا بالعمل.

واضاف وهو يخرج:

ـ بلغي امك سلامي. اخبريها اني سارتب موعداً للقائها في اقرب وقت.

خرج بعد ذلك بسرعة، وحين سألتها امها، في وقت لاحق ان تصفه لها اخفقت في اعطائها جواباً دقيقاً واكتفت بالقول:

ـ ليس سيئاً على ما اظن.

ازداد فضول السيدة لوسون وقالت متذمرة:

ـ ليتني علمت انه سيأتي. هل عليك ان تتصرفي دائماً بهذا الابهام المؤسف؟ الم يكن بوسعك ان تخابريني بالهاتف؟

ـ آسفة، لم اجد فرصة لذلك، في الواقع لم احسب انه سيأتي.

حدجتها امها بنفاذ صبر وقالت:

ـ اخبرته بالطبع انك ابنة خاله؟

ـ ماما، قلت سابقاً اني ارفض الادعاء، بهذه القرابة. فلو انك كنت هنا وتعرفت اليه شخصياً لتفهمت موقفي اكثر. كان سيستوضح كل صغيرة وكبيرة وانت تعلمين ذلك.

ردت مونيكا محتدة:

ـ لا اعلم شيئاً من هذا. انك ابنة خاله فعلا. او بالاحرى ابنة ابن خال والده.

- عن طريق التبني.
- كان تبنياً شرعياً!
- ومع ذلك فهذا يختلف عن القرابة الحقيقية.
فهتفت مونيكا بضيق شديد:
- لكن لا احد يعرف هذه الحقيقة. لقد تم التبني قبل ان تسكن بيرمنغام بوقت طويل. حتى سيلاس لم يكن يأتي على ذكره بالرغم من معرفته له. الا ترين يا ليزا انها فرصتنا الوحيدة؟
ان لم تخبريه فقد يطردنا من البيت فاموت هماً وغماً.
- بالطبع لن تموتي يا ماما!
لماذا تبالغ امها الى هذا الحد المأساوي؟ ان الناس يتغلبون على اوضاع اسوأ من هذه بكثير. وحتى سيمون ردفورد القاسي قد لا يخلو من الرحمة ويمنحها الوقت الكافي لايجاد مكان آخر. قالت بأسى:
- لا ادري ان كنا نستطيع تأمين دفعة اولى لشراء بيت. قد لا نجد صعوبة كبيرة في ايجاد سكن مناسب.
- ذلك مستحيل يا ليزا. تعلمين ان اباك لم يترك لنا قرشاً واحداً. ولكونك ابنة جون بالتبني فقد تركنا سيلاس دون اي مورد. ما زلت اعتقد انه غفل عنا دون قصد وليس بسببي انا بالتأكيد.
- سواء كان هذا السبب ام ذاك فلن يؤثر على ابن اخيه اذا قرر استعادة البيت.
- بالامكان التأثير على معظم الرجال شرط اعتماد الاسلوب الصحيح لذلك. ولو انك بذلت جهداً اكبر مع سيلاس لما كنا وصلنا الى هذا الوضع.
- سأرى ما استطيع فعله.
بدا لليزا في الايام العشرة التالية انها تعمل في المكتب وتعيش فيه ايضاً انما لم يقل جهدها عن جهد سيمون. لقد درس شؤون الشركة بدقة متناهية وبنشاط متواصل ادهشها.
شعرت ليزا كما لو انها تتلقى دورة تعليمية مكثفة في ادارة الاعمال وتوقعت ان تصاب بالارهاق لكن العكس حصل اذ احست بحيوية جديدة تدب فيها. كانت تلبي كل مطلب له بمهارة وتتبعه من غرفة الى اخرى

حيث تتلقى املاءه حيناً وتطبع الرسائل والمستندات حيناً آخر، وهكذا اعتادت على مزاجه المراوح بين الاسترخاء والصرامة واحست بالتالي بحياة جديدة تتسلل إليها. لم تكن الموظفة الوحيدة التي تجاوبت مع سيمون ردفورد بهذا الشكل فجميع العاملين في الشركة بدوا اسعد حالا واخذوا يعملون بحماسة متجددة، وما عاد يقلقهم تدهور الامور خلال السنة الاخيرة من حياة سيلاس.
وفي صبح احد الأيام، المرهقة كالعادة، قال لها سيمون:
- هناك خلل كثير في الشركة الا انها سليمة اجمالا. الا توافقيني يا آنسة لوسون؟
اومأت برأسها فاضاف مفكراً:
- اعترف لك بانني اتعلق بها اذ انها تبشر بامكانيات كبيرة لم يستغلها عمي كما يجب. ان اعادتها الى سابق ازدهارها يتطلب عملاً مركزاً وتعاوناً كاملا من الموظفين. هل انا واثق من دعمك يا آنسة لوسون؟
طرح السؤال بحدة فلم تدر كيف تجيب سيما ان مخططات الحرب تملأ رأسها فلجأت الى المراوغة:
- مضت ثلاثة اسابيع تقريباً على غياب الآنسة براون. انها سترجع قريباً، ولا شك انك ستجدها اكثر كفاءة مني.
وسرعان ما ندمت على الاسلوب الذي صاغت به جملتها القصيرة، فقد يفهم منها اشياء كثيرة الى جانب ما يدور في رأسها. احسته يراقبها بتمعن وهوى قلبها حين اجابها قائلا:
- هل تبغين الاطراء يا آنسة لوسون، ام التأكيد بانك سوف تستمرين في عملك الحالي بعد عودة الآنسة براون، ام انك تبغين الامرين معاً؟
تقلصت يداها خلف ظهرها وابقتهما هناك كي تلجم رغبتها في ان تقذفه بشيء! فهو يستطيع احياناً اثارة اعصابها بهذه السخرية المبطنة بالرقة. اجابته بصوت بارد:-
- لا ادري ما الذي يدعوك الى اساءة فهمي. كنت احاول القول اني لست موظفة مهمة والى حد يجعلك تفضلني عن الآخرين. اما بالنسبة الى استمراري كسكرتيرتك الخاصة، فاشك في استطاعتي القيام بهذه المهمة.
ضحك بصوت منخفض وبتهكم فضحه التواء شفتيه. قال:

ـ اجل يا آنسة ليزا، يمكنك الاضطلاع بالمهمة على اكمل وجه. ادركت ذلك فور تعرفي اليك. ان كنت لم تفطني الى امكانياتك لغاية الآن فانا فطنت اليها، ولا تحتاجين الا الى شيء من التوجيه الصحيح. انت معقدة النفسية وبعض عقدك لا علاقة لها بالعمل لكني عازم على تخليصك منها حالما اجد وقتاً لذلك. سأقول ايضاً اني استمتعت بالعمل معك واعتزم التمتع به اكثر. واخيراً يا آنسة لوسون، لا ريب انك سوف تتجاوبين وتكافئينني على جهودي بشكل رائع.

رمشت عيناها غضباً ولم ترقها نظرته المنزلقة على جسمها والتي اوحت بمعنى مزدوج لعبارته الجريئة. الا انها احست في اعماقها باستجابة مخيفة من الاثارة الدخيلة. خشيت ان يلحظ شيئاً فقالت على عجل:

ـ لا اطمح الى ان اصبح آلة حاسبة الكترونية بشرية يا سيد ردفورد، ولا حتى من اجلك انت.

رن الهاتف فاجابها بليونة قبل ان يرفع السماعة:

ـ على أية حال، فكري في الأمر.

لا شك ان سيمون ردفورد يشكل نموذجاً مثالياً لرجل الاعمال الناجح، وهذه الصفة تتمثل في بزته الداكنة الكاملة الاناقة، في تفكيره الذكي المنظم، وخبرته المتطورة في ادارة الناس والادوات. وراحت افكارها تستكشف نواحي اخرى. اذا بقي هنا ردحاً، فكيف سيمتع نفسه؟ انها تعرف انه تلقى لغاية الآن عدة مخابرات من لندن، من نساء اظهرن فضولا غريباً لمعرفة اماكن تواجده، ولم تنم اصواتهن على انهن متقدمات في السن. لا ريب ان له ذوقاً رفيعاً في النساء يتمشى مع وجهة نظره الحياتية العامة. هذه الخاطرة ضايقتها لسبب ما.

تنهدت واشاحت عنه فيما استمر يتحدث مع سكرتيرته. عرفت انها هي المتحدثة من النبرات البلورية الصافية التي تتردد في جوانب الغرفة. لم يأت سيمون بعد لزيارة امها، ولا تدري هل يزعجها ذلك ام يسرها؟ في بادىء الامر شعرت بالارتياح لأنها تؤجل مواجهة التعقيدات التي ستنجم حتماً، الا انها بدأت تشعر بوطأة حيرتها بالاضافة الى قلق أمها المستمر. لم يبد حتماً انه عرف الحقيقة من احد، فمحامي عمه كان مريضاً، وشريك المحامي، الغريب عن المنطقة تقريباً، كان يساعد سيمون فقط في استفساراته المهنية.

من جهة اخرى، عزف سيمون عن قبول الدعوات الاجتماعية، لكنه سيضطر عاجلا ام آجلا، الى تقبلها، وهنا سيعلم الحقيقة ولا ريب.

اقفل الخط وقال لها:

ـ قد اطلب اليك ان ترافقيني بعد الغداء اذ انوي الاطلاع على مشروع بناء خارج المدينة وساحتاجك لتدوين الملاحظات. اما الآن فاريدك ان تنسخي بعض التعليمات لنرسلها الى لندن اذ يبدو ان اخي العزيز لا يرغب في تحمل المسؤولية ويصر على ارشادات مطبوعة واضحة..

ثم اردف بصوت جاف:

ـ انه مثلك يا آنسة لوسون، لا يطمح لأن يصبح آلة حاسبة الكترونية ولا حتى بشرية!

خرج مع بيل برايت في وقت لاحق من ذلك الصباح وعاد قبيل الواحدة. كانت ليزا قد تناولت الساندويش المعتاد واخذت تميل الى الظن انه قد نسي الموعد عندما فتح الباب بهدوء ودخل المكتب. كانت شاردة الذهن فلم تسمع خطاه على الدرج. استدارت مجفلة لتراه يقف امامها بجاذبيته الطاغية. الا ان بريقاً غريباً ظهر في عينيه لم يوح لها بان ثمة شيئاً جديداً قد طرأ على وضعها. ابتسمت له بعفوية فأخذ يراقبها مائل الرأس ثم بادلها ابتسامة قاسية مزدرية واعلن بدون مقدمات:

ـ كنت اقوم بزيارة أمك. استمتعت بلقائها، واعترف باني استمتعت اكثر بما قالته لي يا ابنة خالي العزيزة.

٣- تحاشت النظر اليه وحاولت ان تفكر بمنطقية. هناك أمها التي يجب ان تفكر فيها بالدرجة الأولى. هل يسعها التوصل معه الى تسوية اذا احتفظت بهدوء أعصابها؟

حالما تكلم أحست ليزا دواراً في رأسها. لفّهما صمت غريب وهي تحدق اليه مندهلة. لقد صدم حواسها واعتقد على الأرجح انها تستحق مثل هذا العقاب. بقيت عدة لحظات عاجزة عن الكلام والتنفس المريح، اما هو، فأخذ يراقب رد فعلها بقسوة واضحة. سألته في الأخير بما يشبه نقيق الضفادع:

ـ كيف عرفت؟

قال بفم متقلص:

ـ كنا قريبين من البيت عندما ذكر بيل برايت شيئاً عابراً أثار شكوكي وجعلني بالتالي اقرر رؤية أمك. كان من المفروض ان اجتمع بها منذ اسابيع ولذا لم احتج الى تبرير. لكن انت يجب ان تقدمي لي تبريراً مقنعاً،

ولا تتظاهري بأنك تجهلين ما أرمي اليه.

المراوغة مستحيلة وقد اكتشف أمرها! قالت على مضض:

ـ آسفة. كان من المفروض ربما ان أخبرك قبل اليوم الا انني لم أجد لذلك جدوى.

ـ لا أفهم... لدي ابنة خال بعيدة، انما لا ترى من المناسب ان تطلعني على هذه الحقيقة! كان يجب ان تخبريني لدى وصولي او عندما ارجعتك مساء الى البيت، حيث جلسنا بانسجام في غرفة الاستقبال الحميمة- ام انني لم أوح لك بالثقة؟

ـ كنت أنوي ذلك...

فقاطعها بصوت بارد:

ـ لديك نزعة دراماتيكية على ما يبدو. اشعر في الواقع بشفقة كبيرة على أمك. لقد عرضتها للقلق كما فعلت معي، انما بطريقة أخرى.

فاتسعت عيناها غضباً وهتفت:

ـ انت تظلمني، فالقضية أعمق جذوراً مما تظن!

ـ انها تبدو لي واضحة تماماً.

شحب وجهها واحتارت في ايجاد طريق محدد تتصرف في ضوئه. لقد حانت لحظة المواجهة وليس من السهل ان تعارض رغبات امها. ربما ليس من الأهمية بمكان سواء كانت ابنة خاله الحقيقية ام لم تكن؟ قالت مراوغة لتكسب الوقت:

ـ قلما تكون الحقائق مطابقة لظواهرها.

ـ هذا ما بدأت أدركه لتوي.

ـ يمكنني ان أفسر...

ـ وأنا لست مستعداً الآن للاصغاء او لمناقشة الموضوع مناقشة صحيحة يا آنسة لوسون.

توردت لكونه قصد ان لا يخاطبها باسمها الأول فلمس خدها بلطف وقال:

ـ اجل، انك تستحقين بعض العقاب يا عزيزتي ليزا لوسون. لا عجب ان أناساً كثيرين كانوا يحدقون اليّ باستغراب عندما أخاطبك هكذا. كل ما أرجوه الا يكونوا فسروا كلماتي حرفياً.

أبعدت وجهها عن ملمس يديه وقلبها يخفق مضطرباً. حيّرها جفاف صوته فقالت بايجاز:

- آسفة يا سيد ردفورد.

- من الطبيعي ان تأسفي. فمن النادر ان يتعرف المرء فجأة الى ابن عمة مفقود. هذه المناسبة تستدعي احتفالا في نظري. يمكننا تناول العشاء معاً ان شئت، قبل ذهابك الى البيت.

لم تكن دعوة بالمعنى الحقيقي بل نوعاً من الأمر، لأن نظرته القاسية كانت تكذب تظاهره بالحماسة والانشراح. ردّت بيأس متزايد:

- لا أدري ان كنت استطيع الخروج هذا المساء فأمي ستتوقع عودتي.

- كم عمرك يا ليزا؟

عزز سؤاله بنظرة متفحصة وعادت أصابعه الى خدها ثم أضاف بالحاح وهو يرفع ذقنها نحوه:

- تبدين في السادسة عشرة لكن امك العزيزة أكدت لي انك تناهزين العشرين. اذن عليك ان تفكري بعذر أفضل من ذلك. هاك الهاتف، ولك كامل الاذن بأن تخابري امك.

أفاقت من ذهولها وأزاحت رأسها ثانية لتهرب من ملمس يده. شيء في صوته ازعجها، ولمسته أشعلت أعصابها بلهب غريب. قالت بهزة من رأسها:

- لا أرى في الواقع اي جدوى من خروجنا معاً. لا تضيع وقتك في محاولة اقناعي. يمكننا ان نناقش الموضوع هنا، قبل عودتي الى البيت.

تفحصها في صمت غامض ثم قال:

- أفضل ان أتعرف الى أقاربي بالطرق الصحيحة يا ليزا، وفي أجواء تتيح الالفة والانسجام. ما زلت مندهشاً من اكتشافي لوجود أقارب لي في بيرمنغام ولذا عليك ان تعذريني وتسايريني بعض الشيء.

- لا بد انك توقعت ان يكون لك أقارب في مكان ما؟ من النادر ان يكون المرء مقطوعاً من شجرة.

- الأقارب، يا عزيزتي ليزا، ملحقات يمكنني الاستغناء عنها.

لم يرقها كلامه فحدقت اليه بغضب. كانت تدرك غريزياً انه يتضايق من كل أنواع القيود الا انها عجزت عن التعاطف معه. فكم من المرات تاقت

هي الى رفقة شقيقة او شقيق؟

أجابته بنظرة براقة:

- أوليس لك شقيق؟ بوسع الأقارب ان يهجوا الحياة.

- وأحياناً يضايقوننا الى حد القرف!

- ان كنت تنظر اليهم من هذه الزاوية فلا عجب ان تظن فيهم الجحود!

- ارجوك يا ليزا. كفي عن الجدال، هيا، سرّحي شعرك وكوني جاهزة في السادسة.

- شعري في حالة مزرية...

- هكذا لاحظت. اذهبي وسرّحيه عند احد المزيّنين. اظنه قابلا جداً لأن يبدو رائعاً وأنا احب نسائي مرتبات انيقات. خذي اجازة ساعة- بعد الظهر ان شئت، ولا أريد مزيداً من الأعذار.

في وقت لاحق، أطل بيل برأسه من الباب وعرض ايصالها الى البيت فأخبرته عن موعدها مع سيمون وأضافت مفسرة:

- لم استطع الاعتذار عنه. انه موعد عمل في اي حال لتعويض الوقت الذي أمضاه اليوم خارج المكتب.

أجابها بيل بطريقة اخافتها قليلا:

- اعتقد انه ابن عمتك، وقد اندهش هذا الصباح حين ذكرت له ذلك.

أدركت ان بيل يحس نبضها، فأسدلت اهدابها هرباً من فضوله وغمغمت تراوغه:

- لا بد انه كان شارد الذهن. انه يعرف كل شيء ويسبق الآخرين دائماً بمعرفته.

نجحت في جر بيل الى موضوع آخر فقال وهو يمرر أصابعه بعصبية في شعره الأشقر الكث:

- أوافقك تماماً على كلامك! لقد أملت ان ينظم أوضاع الشركة انما ليس الى الحد الذي ذهب اليه، فهو يدقق في كل صغيرة وكبيرة وما عدت أعرف في أي اتجاه أسير! لقد وضع عينيه ايضا على الأراضي حول بيتكم كي يستثمرها في مشروع مستقبلي. أقول هذا لأحذرك منه. وسواء كان ابن عمتك ام لم يكن فهو قادر على ايقاع أية فتاة، وقد أعذر من أنذر.

هذا النبأ الجديد أوقعها في الكآبة فخفت فرحتها بتزيين شعرها. في أي

حال لم تكن تنوي فعلا ان تفعل ذلك، وتذرعت بمشكلة شعرها لتتملص من دعوته، ثم أخذت موعداً لتصفيفه في لحظة تمرّد وحنق، في صالون لم تزره من قبل معروف بأسعاره المرتفعة. ومما زاد في امتعاضها ان صاحب الصالون هذا اهتم بها أشد الاهتمام، وكأنه متحالف مع سيمون، فراح يثرثر ويهتف ويعلق وهو ينظف شعرها ويقصه ويسرحه حتى أحست بالدوار. كانت تنوي ان تستفيد من الوقت في التفكير العميق البناء لكن هذا المزيّن لم يتح لها الفرصة. وها قد انسدل شعرها المصفف بجمال على كتفيها ولكن افكارها المشوشة ظلت على حالها.

في طريق عودتها الى المكتب استمرت الصدمة تهزها كلما تذكرت ما ينوي سيمون فعله بحدائق البيت. لا بد ان بيل مخطىء في تصوره؟ اصمت اذنيها عن سماع الصوت الخافت الذي همس لها ان بيل على صواب... ان كان سيمون لا يعتزم السكن في هولوز أند فهناك احتمال كبير بأن يفكر في استغلال المكان تجارياً. ان عينه الساهرة لا تفوتها رؤية اي شيء، وهو مستقل في قراراته ومشاريعه الخاصة، مع انه اعترف تقريباً بأنه يحب الجنس الآخر، ولا بد انه عرف العديد من النساء وقد بات على عتبة الاربعين.

اجتاحتها رعشة تحذير لم تدر لها سبباً. ان حيويته الجبارة شيء جديد بالنسبة اليها، ولكنها لن تدعها تسحقها. يجب ان تبحث داخل نفسها وتجد حلا لمشكلة امها المستعصية. لا بد ان تكون هناك طريقة تتوصل بها الى انسانية سيمون ردفورد دون ان تضحي بكرامتها الأنثوية.

عادت بعد السادسة لتجد الشركة خالية الا من سيمون ردفورد. نزلا معاً الى الباحة حيث توجد سيارته وفي الطريق رمق شعرها باستحسان وقال:

ـ تبدين جميلة تماماً يا ابنة خالي العزيزة، ألم أقل لك هذا؟

ـ لا أذكر كلامك بالتحديد. أظنك أبديت رأيك بعدم جاذبيتي...

قال وعيناه تتقدان بسخرية مفاجئة:

ـ لم أكن بالطبع فجاً الى هذا الحد ولربما كنت أحمي نفسي من الوقوع بسحر قرابتك.

ـ لم تكن قد وجدت الوقت آنذاك لتعرفني من هذه الزاوية.

ضحك وهو يساعدها على صعود السيارة ثم أخذ مكانه وراء المقود وقال:

ـ كنت أدرسك من كل الزوايا في الأسابيع الثلاثة الماضية، ولم أجد فيك ما يدعو الى الانتقاد. شعر المرأة تاج جمالها كما يقال وشعرك كان يشكو فقط من الاهمال. ألا ترين الآن اني كنت مصيباً؟

وافقته بايماءة صامتة فأدار بصره عنها وقاد السيارة على مهل. استرخت على مقعدها وسرها انه اضطر الى التركيز على الطريق.

خفق قلبها لسبب مجهول ولم يرقها ذلك. ربما لأنه ألمح الى اهتمامه بها وهذا دلالة على انه يعتبرها مجرد قطعة من أثاث المكتب. كان يشق طريقه بسرعة وسط زحام السير المتزايد فسألته في الأخير:

ـ اين سنذهب؟

ـ انتظري لتري. ان بيرمنغام مدينة كبيرة.

أي جواب هذا؟ لجمت فضولها ولكنها لاحظت معرفته الجيدة بالشوارع فغمغمت مستوضحة:

ـ هل تعرف المدينة من قبل؟ أقصد قبل مجيئك هذه المرة؟

رد على استفسارها بسؤال من عنده كما لو انه يجد لذة في مناورتها:

ـ ما الذي يحدوك الى هذا الظن؟

ـ لأنك لا تقود السيارة بتردد كما يفعل معظم الغرباء. تبدو تقريباً وكأنك تحفظ خريطة الشوارع عن ظهر قلب.

ـ ربما كنت أقضي سهراتي في التعرف الى الطرقات. لكني غريب تماماً عن مدينتكم يا آنسة الفضول. منذ مدة طويلة وأنا أركز اهتمامي على احداث تطويرات عصرية في بيرمنغام وذلك بصفتي مهندساً استشارياً.

ـ أتقصد انك لم تكن تملك شركتك الخاصة منذ البداية؟

ـ أبي كان مالك الشركة آنذاك. ان العمل مع شركات أخرى يتيح للمهندس بعض الفرص ليمارس موهبته الابداعية وهذا يختلف عن التطبيق التقني للمشاريع.

ـ وهل وجدت المجال الكافي في مشاريع ضخمة كالتي لدينا هنا- اقامة ابنية وطرقات وجسور جديدة؟

ـ لم اشترك شخصياً في مشاريع بيرمنغام لكني خبير في مشاريع مماثلة.

نظرت عبر النافذة الى الانشاءات العصرية حولها وحاولت استيعاب كلامه ثم قالت بتأمل:

ـ الهندسة علم على ما أظن لكن الذي صمم بيرمنغام الجديدة كان فناناً في الوقت نفسه.

التفت سيمون الى وجهها الرصين وقال:

ـ ان المهندس الذي يفتقر الى الموهبة الفنية لا يصل الى القمة، وفي رأيي ان البناء الفني التصميم يزودنا بمتعة جمالية.

قالت بتردد وهي تفكر في ناطحات السحاب الضخمة التي مرّا بها في شارع كوينزداي:

ـ كل الأبنية مصممة بضخامة والى حد يشعرني احياناً بأنني قزمة بالمقارنة.

قال مبتسماً:

ـ لا تبدين شديدة الحماسة للأبنية العصرية.

ـ بل اني من أنصارها لأنها تحوي كل ما يحتاجه المرء ويرغب فيه، الا انني أفكر احياناً انه لمن المؤسف ان تنمو المدن الى هذا الحد. لقد اخبرني سيلاس مرة، ان سجل مسح الأراضي والمالكين الذي صدر في القرن الحادي عشر في عهد وليم الفاتح، وصف بيرمنغام بأنها مستوطنة صغيرة تساوي عشرين شلناً فقط. اما اليوم فهي ثاني اكبر مدينة في انكلترا.

ـ يخيل الي ان الصناعة لا تثير اهتمامك فما رأيك بالملاهي الليلية؟

ـ اجل، لا اهتم كثيراً بالمصانع ولا بالملاهي الليلية بالرغم من كثرتها. اني افضل المسارح والحفلات الموسيقية، ثم هناك نوادي الجاز والديسكوتيك...

ـ توجد انواع كثيرة غيرها مما تحويه مدينة كهذه من وسائل التسلية لكننا سنسهر خارج بيرمنغام هذه الليلة وقد حجزت طاولة في مكان اعرفه في ستراتفورد. تأكدي انه سيروقك.

ستراتفورد- اون- آيفون، مسقط رأس وليم شكسبير! أشرق محياها وقالت بلهفة:

ـ آه، نعم، انه يعجبني. لم أزره منذ مدة طويلة وكدت انساه في الواقع.

ـ سنذهب في ليلة اخرى الى مسرح ميموريال ثياتر لنحضر احدى

مسرحيات شكسبير. اخذت ابي اليه مرة- كان شديد الاعجاب به.

ـ وأنت؟

ـ ليس الى هذا الحد.

شجعها الجو الودي على الاسترسال فسألته بتلقائية:

ـ هل عرفت يوماً السبب الحقيقي لخلاف والدك مع عائلته؟

عاد الى الوراء بذاكرته وقال مقطباً:

ـ لست متأكداً. ففي سنوات حداثتي كان والدي ينعم بالنجاح والرخاء فلم يخطر لي في الواقع ان أتساءل عن ماضيه. ثم انهمكت في دراستي وكنت راضياً عن حياتي وحاضري. كل ما أتذكره ان والده وعمي سيلاس اتخذا موقفاً موحداً ضده عندما نشب ذلك الشجار، فرحل عنهم. كان والدي ذكياً انما لم يكن رجلا متسامحاً يا ليزا.

ودت لو تقول، كذلك الحال مع سيلاس، فهو لم يغفر لها ابداً كونها متبناة ولا يجري دم آل ردفورد في عروقها. انما قد يكون من الأفضل ان لا تطلع سيمون على هذه الحقيقة قبل ان تعرف ما تريد معرفته عنه. تظاهرت بالبراءة وسألته بصوت مرح:

ـ هل ورثت عن أبيك نزعة الحقد؟

أطلق ضحكة قصيرة وقال:

ـ أظن ان هذه النزعة عامة بين الناس وليست وراثية بالضرورة. انما أقر بأني لا أتنازل بسهولة عما اعتبره مهما بالنسبة الي.

ـ مثلا؟

ـ الصفقات التجارية، أليست هي ما تتحدث عنه؟

ـ لكنها ليست في أهمية العلاقات الشخصية التي يصعب التنازل عنها احياناً.

ـ أتراك تحاولين ان تجسي النبض ثانية يا ليزا؟

كانا قد اقتربا من ستراتفورد حيث اشجار الصفصاف تحف بنهر آفون المتدفق وسط أودية شاسعة وهادئة. هنا الريف وادع الاخضرار وذو سحر أخّاذ ينطبع في الذاكرة.

أجابته بارتباك وذعر:

ـ بعض المعرفة تساعد المرء احياناً.

- ليست المعرفة ضرورية الا اذا كنا نتكلم عن الشيء ذاته وأظننا نتحدث عن أمرين مختلفين. قد أطلعك في يوم ما على قصة ولد صغير كان يحب اصطياد السمك في نهر الثيمس ولم يكن يحصل الا على قدمين مبتلتين... النساء يعطفن عادة على الصبيان الصغار- ام انك لم تعرفي هذا يا ليزا لوسون؟

- هل توقفن عن حبك عندما كبرت؟

التمعت عيناه بتحذير فاتها ان تراه، وقال:

- ما الذي يدعوك الى طرح سؤال كهذا يا ترى؟

ردت ثانية بلا تفكير:

- لأنك... غير متزوج...

- اجل، انا لست متزوجاً.

وافقها بدمائة انما بقي وجهه مقنعاً وجامداً حتى دخلا سوق البلدة القديمة وحيث خرجت تستقبلها لمحات من الماضي.

نظرت اليه بفضول ثم احست قلبها يخفق من جديد. تفحصت تقاسيمه السمراء من بين أهدابها الكثيفة بدل ان تركز اهتمامها على أبنية ستراتفورد كما بدا انه يفعل. تململت في جلستها وتساءلت، لماذا تخونها حواسها وتضطرب منه الى هذا الحد؟ ان فيه اعتداداً وقوة يرغمانها على الاستجابة له بحدة مخيفة، ويبعثان فيها اثارة غامضة تحاول اخضاعها انما قد لا تستطيع الاستمرار في تجاهلها... حتى تموجات صوته العميق تؤثر عليها في العمق... اذن ليس امامها الا ان تسعى الى الهرب سريعاً.

تناولا العشاء في احد المطاعم الجذابة والعديدة التي تتميز بها ستراتفورد، ذات الأعمدة الخشبية السوداء التي تتقاطع على جدران خارجية بيضاء اللون. كان حول المطعم حدائق جميلة تصل ضفة النهر. تأكد لليزا انه ما اختار هذا المكان الا لمعرفته السابقة به. أقبلت على تناول الطعام الفاخر بلذة وجوع، ووجدت في سيمون ردفورد مضيفاً ممتازاً، الى جانب كونه ذواقة في الطعام والشراب، فقد عكف على تسليتها بالأحاديث الخفيفة حتى تأكدت في النهاية من انه لم يأت بها الى هنا بقصد ان يستدرج منها معلومات اخرى حول علاقتها بسيلاس.

وفجأة قال سيمون، وكان يسترخي على مقعده الى جانبها:

- افكر في افتتاح مكتب آخر يكون أقرب الى وسط المدينة التجاري. قد افعل ذلك بعد عودة الآنسة براون التي باتت وشيكة.

اجابته بهمهمة خفيفة اذ لم تصغ جيداً الى كلامه. تابع يقول:

- على أية حال، اعتزم الانتقال قبل نهاية الشهر، وأريدك ان تأتي معي لتكوني سكرتيرتي الخاصة.

- أوه! كلا!

أفاقت فجأة من شرودها الحالم وهبت جالسة وكادت القهوة ان تندلق على ثيابها.

أضافت بصوت متوتر:

- لا أعلم ان كنت ساستمر اعمل في الشركة.

بقي يراقبها بامعان فكفت عن هز رأسها ونظرت الى يديها لتتحاشى نظراته المركزة. قال:

- اتقصدين انك لا تريدين الانتقال وتفضلين البقاء في المكاتب الحالية؟

فرددت وهي تلتفت اليه منجفلة:

- كلا، قصدت اني أود ترك العمل برمته.

- لماذا؟

- لأني... كنت أفكر مؤخراً في الانتقال والبحث عن شيء مختلف.

- مثلا؟

شعرت باستياء غامض فرفعت رأسها ونظرت في عينيه. كانت سعيدة قبل دقائق وها هو يفسد كل شيء... كان كلما تكلم يطرح سؤالا يحيرها فتضطر الى استنباط جواب! قالت مراوغة:

- قلت لي بنفسك، قبل ساعة، ان العمل الصناعي لا يناسبني، او شيء بهذا المعنى.

- كنت أتكلم عن شيء مختلف بالمرة، فلا تتجاهلي ذلك.

ثم سلط عليها نظرة تحذيرية وأردف قائلا:

- ان تركك الشركة لا يدخل ضمن مخططاتي ولذا خير لك ان تفكري جيداً.

حاولت ان تستجمع شجاعتها ورطبت شفتيها بلسانها. ثم نسيت رغبة امها حين اندفعت تقول:

- ان رغبت في الرحيل فلن تستطيع ردعي عنه.
- قد لا استطيع منعك بالقوة، مع انك لن تصمدي امامي اذا اخترت استعمال العنف. انما قد ألجأ الى طريقة أخرى.
- طريقة أخرى؟

امسكها من ذقنها ورفع رأسها بعنف لكي تواجهه ثم أفهمها بصوت قاس:

- اعتقد ان امك تحب العيش في هولوز أند.

شخصت اليه متسعة العينين وأحست الألم يلسع جسمها كإبر واخزة حين غرز أصابعه في ذقنها. ومع ذلك لم تحاول الهرب وغمغمت هامسة:

- اذن انت تعرف؟
- تذكري اني تحدثت مع امك هذا الصباح، كذلك زرت عمي هذا العصر، وهكذا تنوّرت كثيراً هذا اليوم! لقد اتضح لي انك تمتين الي بقرابة بعيدة، ولذا لا أدين لك بشيء يا عزيزتي ليزا.

كرهته في تلك اللحظة وكرهت عجزها عن الشعور باللامبالاة. انه يؤمن بالفعل بالصراحة المطلقة. وهي تجهل حتى ما قالته له امها بالضبط. ليتها اتصلت بها بالهاتف قبل ان تأتي معه! تخشبت شفتاها وردّت بخواء:

- لا أرغب في مجادلتك في ما حصلت عليه من معلومات صحيحة. انك تبدو مستمتعاً في اذلالي ونفسي تأبى عليّ التوسل، حتى بالنيابة عن أمي.
- لن تضطري الى التوسل اذا اظهرت بعض التعقل.
- ماذا تقصد؟

أجاب بعناد قاس:

- تبقين معي في العمل فاسمح لأمك بالبقاء في هولوز أند.
- انت تعلم ان سيلاس لم يوصِ لها بشيء؟
- اجل، أعلم اني الوريث الوحيد وهذا يعزز موقفي الى حد كبير.
- انك تلجأ الى الابتزاز! ام تراك لا تدرك ذلك؟
- بالطبع ادرك. انما أعدك بأن يكون ابتزازاً محبباً شرط ان تتعقلي.

قالت بصوت قاس أملت ان يخفي عنه خفقان قلبها:

- من النادر ان احيد عن التعقل.

هذا الرجل بمجرد ان يتكلم، يقدر على اذابة عواطفها، فكيف به ان

استعان بطرق أخرى؟ تحاشت النظر اليه وحاولت ان تفكر بمنطقية. هناك امها التي يجب ان تفكر فيها بالدرجة الأولى. هل يسعها التوصل معه الى تسوية اذا احتفظت بهدوء أعصابها؟ اغتصبت ابتسامة واقترحت قائلة:

- يمكنك ان تجد فتاة أخرى لتدبير مكتبك الجديد. اما بالنسبة الى البيت فقد نستطيع استئجاره منك ان كنت عازفاً عن السكن فيه؟

اجابها بصلابة:

- لن تقنعيني بأي من الأمرين.

تصاعد غضبها على رغم منها فشهقت قائلة:

- لا شيء يربطنا بالبيت- سنغادره فوراً ونبحث عن مكان آخر.

اجابها على الفور:

- امك ليست مستعدة لأن تفكر في الرحيل مجرد تفكير وهذا الصباح اظهرت بوادر هيستيريا.
- هيستيريا؟
- اجل، عندما استوضحتها خططها المستقبلية.
- قد توافق على البقاء لتدير شؤون البيت ولتحتفي بضيوفك كما كانت تفعل لسيلاس. اما أنا فيمكنني ايجاد مكان خاص بي.

تجاهل عبارتها الأخيرة وقال:

- لكن الخادمة التي كانت تساعدها أبدت استعدادها للعودة الى العمل.
- لقد ذهبت ماري لتعيش مع اختها.
- ذلك لأنها لم تجد من يدفع لها اجورها.

هتفت بحنق:

- قمت بتحرياتك على أفضل وجه!
- يمكنك ان تقولي ذلك.

حدقت اليه بقلب واجف. امتد بينهما الصمت ثقيلا خانقاً. احست انها في مصيدة محكمة وأدركت انه يدرك ذلك! لم تطق فكرة كونها المسؤولة عن طردها وأمها من البيت فهو وضع الكرة في ملعبها بذكاء وبدا ان القرار يعود اليها وحدها. عرضه كريم في الظاهر، وتهديداته المبطنة قد لا تكون اكثر من مداعبة خفيفة. ربما ان ردود فعلها العنيفة هي التي ضخّمت خوفها

وأشعرتها بموقفها الضعيف امامه.

قالت تسأله لتحظى بشيء من التطمين. وهي لا تريد، في الوقت نفسه، ان تسمع جواباً لا تود سماعه:

ـ لماذا تصر على بقائي معك؟

ـ لنقل انها مجرد خاطرة عنت لي يا ابنة خالي العزيزة. انا اتبع حدسي دائماً وهذه المرة لدي حدس قوي يدفعني الى التنفيذ. لنقل، اذا شئت، اني رجل غريب في مدينة غريبة، ومن الطبيعي ان اسعى الى احاطة نفسي بشخص او شخصين يمكنني الوثوق بهما.

ـ لكن هناك موظفين عديدين يمكنك الوثوق بهم؟

ـ الشركة ناجحة ولكنها تحتاج الى ترسيخ وتنمية. هناك أشياء صغيرة تجري في الخفاء وتعرقل ازدهارها العام. ام انك تجهلين ذلك؟

لاحظ اجفالها البسيط فأضاف بليونة:

ـ يبدو انك تعرفين.

ـ لكنها اخطاء قد تحدث في أي شركة بين الحين والحين.

ـ اذن اعلمي اني لا أريدها ان تستمر في الحدوث عندنا بتاتاً! وأنت، يا قريبتي العزيزة ستكونين في عداد الذين سوف يساعدونني شخصياً على منع حصولها.

ـ ألا تعتزم السكن في هولوز أند في يوم ما؟

أشاح عنها يجوّل بصره في القاعة الخالية وقال:

ـ ليس الآن. لدي شقة مفروشة في لندن وقد استأجر شقة مماثلة هنا لكني لم أقرر بعد. اقترح ان تبقى امك في هولوز أند كمشرفة مقيمة على البيت او بأي صفة اخرى ترتأينها. بوسعها ان تفسر ذلك للناس كما يحلو لها.

التفت الى محياها الغاضب وهتف ساخراً:

ـ عجباً! أليس لديك كلمة شكر واحدة؟ كنت أتساءل في الساعات الماضية عن السبب الذي دفع سيلاس الى حرمانك من الارث!

فاجأها الى حد شل أفكارها. رفعت بصرها اليه وسرعان ما توردت وجنتاها ذلا وقهراً. كيف يجرؤ على الشك فيها بهذا الشكل؟ لم يكفّ طوال السهرة عن تحقيرها ولكنها لم تتوقع ان يصل الى هذا الحد... أهابت بها

نفسها ان تنهض وترحل لكن شعور الذنب سمرها الى مقعدها. لا تستطيع الانغماس في الذل وأسهل طريقة للخلاص هي ان تعترف له ببساطة بأنها لا تمت الى سيلاس بصلة قربى. لكن اعترافاً كهذا سيعود بالضرر على امها... لتكتف بهذا ولتقطع الطريق خطوة خطوة. هذه الحقيقة لا يجب ان يعرفها سيمون في الوقت الحاضر... قالت بصوت جامد:

ـ توفي سيلاس بطريقة مفاجئة، وكان كتب وصيته منذ زمن بعيد.

ـ قد يكون هذا تفسيراً منطقياً، وقد يشجعني اكثر على انتظار ما ستأتي به الأيام.

احست فجأة بارهاق يمنعها من تفسير كلماته الغامضة. كان نهاراً طويلا ولم ينته على ما يرام. توقدت عيناها بامتعاض غاضب وصارعت شعور ذل مرير عندما أيقنت انها مهما فتحت من طرقات فسوف يسبقها بخطوة ويسد عليها كل المنافذ. لم يعزز موقفها انجذابها الغريب الى رجولته الطاغية. حاولت ببرود ان تتفحص الدافع الى اعجابها هذا. قميصه البيضاء وبزته الرسمية تبرزان طول قامته وتضفيان عليه وقاراً داكناً. انه رجل قوي بكل معنى الكلمة وحنكه القاسي وشفته السفلى المليئة تكملان بعضهما بعضاً. اضطرب قلبها بين ضلوعها وخشيت ان يستشف انفعالها. سألته بنعومة:

ـ هل هذا كل شيء؟

رد بلطف وعيناه توغلان في عمق عينيها:

ـ كل شيء في الوقت الحاضر.

ـ اذن بوسعنا ان ننصرف.

قفزت واقفة الا انه اعتقل ذراعها وأرجعها الى مقعدها. صدمتها اصابعه المتغرزة في جلدها كالفولاذ فتصاعدت النار الى حلقها مهددة بخنقها. قال:

ـ مهلا. لا تستعجلي كثيراً. احب دائماً ان احدد خلاصات المواضيع. لقد تجادلنا طويلا انما يبدو اننا وصلنا الى اتفاق معين هو ان تبقى امك في هولوز اند وتستمري انت في العمل معي في مكتبي الجديد.

ـ سأفعل ما تقول.

تحملت يده المطروحة بلطف على ذراعها بجسم متقلص ومرتجف في آن. اقسمت بتفكير طفولي جامح ان تجعله يكفّر عن تصرفه هذا في يوم من

الأيام!

ضاقت عيناه حين أخذ يقيّم تحديها المتهور، وبدا مناسباً للجلسة ان تكون له الكلمة الأخيرة، وحيث بقيت عبارته ترن في أذنيها خلال عودتهما الى بيرمنغام:

ـ أود ان أوضح تماماً بأني أدير شركة لا جمعية خيرية. اني أتوقع عملا دؤوباً لقاء ما أقدم، واياك ان تنسي هذا يا عزيزتي ليزا.

٤ ـ تُرى لماذا لا يُحدث فيها بيل اي انطباع في حين ان نظرة واحدة من سيمون تحدث فيها الأعاجيب ؟ هل لأنها لا تحاول ؟ إذن فلتجرب .

لما عادا الى البيت ذلك المساء رأت ليزا النور مضاءً في غرفة الجلوس فأدركت ان امها لا تزال ساهرة في انتظارها . وقفت في ظل الجدار بجسمها النحيل المعتدل الطول حتى انصرف سيمون في سيارته ثم استدارت وركضت الى داخل البيت .

وقبل أن تقفل الباب وراءها خرجت امها من غرفة الاستقبال وسألتها بقلق ظاهر :

ـ خابرني بيل وقال انك ستخرجين مع سيمون . اين ذهبتما ؟ الم تدعيه الى الدخول ؟

ـ دعوته لكنه رفض . ذهبنا الى ستراتفورد وتحدثنا .

علت شفتيها ابتسامة خفيفة وعادت مع امها الى حيث النار ما تزال

www.elromancia.com

تتوهج . خلعت معطفها الرقيق ودفأت يديها . انها اواخر ايار/مايو ، ومع ذلك بدا ان الطقس تجلد فجأة .

وعادت امها تسأل بلهفة :

ـ احقاً يا حبيبتي ؟ عما تحدثتما ؟ ام انك تفضلين الا تخبريني ؟ هل قال . . .

صمتت مونيكا فالتفتت اليها ليزا لترى الخشية تملأ وجهها والتعب يهدل شفتيها وهي تحاول بألم ملحوظ ان تكمل السؤال بلا جدوى . اشفقت ليزا عليها وقالت تطمئنها بجمود :

ـ لا عليك يا ماما . قال انه يمكنك البقاء هنا ان شئت .

فأشرقت تقاسيم وجهها المكتئبة وعاد اللون الى جلدها بدفق سريع . قالت وكأنها لا تصدق :

ـ قال ذلك فعلاً ؟

فكرت ليزا في نفسها ، لا ينقصها الا ان تنفجر باكية من شدة الفرح . . . ثم تساءلت عما اذا هي تصرفت بحكمة مع سيمون ، فامها باتت متعلقة جداً بهذا البيت وربما كان الرحيل السريع خطوة افضل .

اجابتها ليزا باحتراس :

ـ في الوقت الحاضر يا امي .

فضلت الا تذكر لها الاتفاق الذي اجرته مع سيمون ، فهو يبدو دراماتيكياً وتخشى على امها من ردود الفعل .

خبا الفرح على محيا مونيكا وسألت بارتياب :

ـ ماذا تقصدين بقولك . . . في الوقت الحاضر ؟

ـ اني اردد كلامه حرفياً . انه لم يزودني باتفاق خطي ان كان هذا ما تفكرين فيه . قال انك تستطيعين البقاء كمشرفة على البيت . لم يحدد مقصده انما عنى على الأرجح ، انك لن تُلزمي بدفع ايجار .

هنا تحوّل فرح امها غضباً وما ارفع الخيط بينهما بالنسبة الى مونيكا ! هتفت حانقة :

ـ يا امي ! الا يخطر لهذا الرجل ان سيلاس مدين لي بالكثير ؟ انه لو قدم لي البيت كهدية لما استطاع ايفائي حقي . كيف يمكنه التحدث عن الايجار ؟

ـ ماما ! هذا الأمر يجب ان تبحثيه معه بنفسك . انه ليس من النوع الذي يعترف بفضل الآخرين عليه ، وأنا ما استطعت الحصول منه على هذا التنازل الا لاعتقاده باني أمتّ اليه بصلة قربى . لا اجرؤ على المجازفة باطلاعه على الحقيقة لكني اشعر بالخزي من موقفي هذا .

ـ آسفة . يسرني ، على الأقل ، انك ارتأيت عدم اخباره . لكني استغرب ذهابك معه لغاية ستراتفورد لتتحدثا في الموضوع ، فحين زارني هذا الصباح كان مثال السحر والدماثة وأنا من جهتي رحبت به جداً . كان يستطيع بكل سهولة ان يحدثني مباشرة .

ـ ساحثه على أن يفعل ذلك في المستقبل .

ثم هربت الى غرفتها وقد اعياها الارهاق عن متابعة الجدال .

عادت الآنسة براون من رحلتها يوم الاثنين التالي فأغرقت ليزا نفسها في العمل كي لا يأتي المساء الا ويكون التعب قد اخذ منها كل مأخذ وحال بالتالي دون تفكيرها بالمشكلة . وبرغم ذلك وجدت صعوبة في تحويل افكارها بعيداً عن سيمون . لم تقدر بالطبع ان تتحاشاه في ساعات العمل ، وكانت كلما رأته تشعر باضطراب في صدرها ويتوتر في اعصابها المتقلصة اصلاً . وكلما اقترب منها ، احست برقة غريبة تغزو شفتيها الواسعتين المقوستين ، وينتابها شعور مدغدغ يجعلها تتساءل بتوق عما سيحل بها لو ان هذا الرجل عانقها ، وتشعر في الوقت نفسه برعب متزايد من احتمال ان يحدس افكارها .

رجعت الآنسة براون مفعمة بالحماسة والحيوية الأمر الذي جعل ليزا تبدو باهتة بالمقارنة . ومع ذلك فرحت لرؤيتها بالرغم من انها بادرت الى اغراق سيمون ردفورد بالمديح بعد انقضاء وقت قصير على رجوعها . وقالت توضح الدافع الى اعجابها به وتقديرها له ، مثلما يفعل بيل برايت تماماً :

ـ منذ امد طويل والشركة في حاجة الى شخص على غراره ، انه يعتزم استخدام مدير عام يتسلم ادارة الشركة لكونه سيضطر الى التواجد في لندن في النهاية . يجب ان تطلعي صديقك الشاب على هذا الأمر لأن الوظيفة ستكون مرتفعة الأجر حتماً .

حدقت اليها ليزا ببعض الغباء واستوضحتها :

- صديقي الشاب ؟

- وأين ذكاؤك ؟ اني اتكلم عن بيل برايت .

تضايقت ليزا من افتراض الآنسة براون وجود صداقة خاصة بينها وبين بيل . فقررت ان ترد لها الكيل كيلين وهكذا اخبرتها ، بطريقة لطيفة ، ان سيمون لن يعود الى لندن بل هو يفكر في افتتاح مكتب آخر في قلب المدينة . سرت حين رأت هذه المعلومات تحدث الأثر المطلوب في الآنسة براون اذ ما لبثت ان ابتدعت حجة واهية ودخلت مكتب سيمون الخاص وهكذا اتاحت لليزا ان تنظم افكارها لبضع دقائق .

ما الذي يدعو الآنسة براون الى الافتراض بانها على علاقة عاطفية مع بيل برايت ؟ انها لا تعتزم بالطبع ان تكون الاداة التي تضمن له هذه الترقية اذ عليه ان يحظى بهذا المركز من خلال جهوده الخاصة لا من خلال جهود الآنسة براون . تملكها ذعر فجائي فالتفتت صوب الباب المغلق آملة الا تكون الآنسة براون قد دخلت على سيمون لتمهد الطريق لبيل على امل ان تستفيد من مكانته الجديدة في حال ترقيته .

خرجت الآنسة براون وامارات الكدر على وجهها ثم أعربت عن ظنها بأن ليزا قد تمت ترقيتها من وراء ظهرها وكان بامكانها ان تنتظر قليلاً حتى تبلغ هي سن التقاعد وتأخذ مكانها بصورة طبيعية . وفيما كانت ليزا تحاول استيعاب كلامها وتهيئة دفاعها ، اخضعتها الآنسة براون لاستجواب قاس حول طبيعة نشاطاتها اثناء غيابها في مايوركا . وقبل أن تتهمها صراحة باتباعها اساليب ماكرة سارعت ليزا الى تهدئة روعها بالقول ان سيمون ردفورد فعل ذلك من باب المراعاة لاقاربه .

سرها أن تنجح في تهدئة السكرتيرة الكهلة اذ لانت قسمات وجهها وقالت :

- اظنك على حق يا عزيزتي ، فلولا هذه القربى بينكما لما اهتم بك بتاتاً .

لكن هذا الجواب زاد قناعة ليزا بأن غطسها في بركة الخديعة يزداد يوماً بعد يوم وانها تستحق هذه القذيفة التي اطلقتها عليها الآنسة براون .

في احدى الأمسيات ، وبفعل نفسيتها اليائسة ، وافقت على الخروج مع بيل ، لكن ذلك لم يحل المشكلة ولم يشعرها بالانتعاش المطلوب ، فما ان انقضت الساعة الأولى من اللقاء حتى أدركت غلطتها لكنها اضطرت الى

احتمالها لعجزها عن تصحيحها .

كان بيل يضج بفضول لم تقدر ان تشبعه . وقد ولد فضوله مُذْ طلبت اليه أن يزور امها ليلة ذهبت مع سيمون الى ستراتفورد . لم يكن بيل معتاداً على زيارة البيت في عهد سيلاس ، اما الآن ، فمن الطبيعي أن يهتم بمعرفة الأوضاع الجديدة في هولوز أند . طرح عليها فيضاً من الأسئلة المباشرة إنما بتهذيب جم جعل رفضها الاجابة يبدو نوعاً من الوقاحة . كما اظهر لطفاً زائداً وكأنه يغريها على الوثوق به ولعله كان ينصب شركاً كالذي ينصب دائماً للأناس الطيبين .

استغربت أن يختار بيل واحداً من أرقى فنادق بيرمنغام ليتعشيا في مطعمه . بدا خانقاً بعض الشيء ولا يناسب طبيعة بيل الزاهية . لم ترتح هي أيضاً الى جوّه الكئيب وودت لو انهما سهرا في مربع راقص ليسهل عليها التهرب من تركيزه المدروس . وسرعان ما بلغها ما يدور من شائعات حول المركز الاداري الحالي وسألها عن صحة ما يقال ، مدفوعاً بطموحه الى الحصول على هذا المنصب .

ثم قال فجأة :

- لا تنظري فوراً ! ان سيمون ردفورد يجلس على بعد عشرين خطوة من يسارك ويتلقى عناية فائقة تليق بمقامه الرفيع .

التفتت ليزا على رغم منها ، مع ان عقلها أهاب بها أن تنظر الى مكان آخر ، ورأته بالفعل يجلس الى طاولة في وسط المطعم مع مجموعة من رجال الأعمال المحليين وزوجاتهم . انها تعرف عدداً منهم اذ طالما حضروا الى هولوز أند لتناول العشاء الى مائدة سيلاس .

راحت تحدق اليهم ، فقال بيل وكأنه قرأ افكارها :

- انه يكمل مهمة الرجل العجوز بل يتفوّق عليه فيها ، فأنا اراهن أن السير رونالد وزوجته لم يكونا يشرفان مائدة سيلاس بحضور متكرر .

هزت ليزا رأسها بتعاسة . لم ترقها عبارة بيل الوقحة ولكنها لم تستطع نكران الحقيقة ، فالسير رونالد تناول العشاء مرتين فقط في هولوز أند ، وتذكر ان اللقائين كانا خاليين من الود تقريباً . السير رونالد لا يعمل في حقل البناء طبعاً لكن يمكن الاستفادة من معرفته الوثيقة برجال الأعمال النافذين كما ان لديه ابنة جميلة . . . لم تحتج ليزا الى النظر بدقة لترى ان

سيمون كان يوليها اهتماماً كبيراً .

وعلى حين غرة شعرت بغثيان لم تدر له سبباً . لاحظت هذا المساء ان سيمون يرتدي سترة سهرة ويبدو صارخ الشخصية ، الأمر الذي جعل الرجال حوله يبدون باهتين بالمقارنة . انه ليس وسيماً بالمعنى الحقيقي للكلمة ، لكن ما يتمتع به من حيوية وقوة ولياقة بدنية كفيل بأن يأسر الخيال ويدير الحواس ، وكم هي واضحة نظرات الاعجاب التي ترمقها عليه السيدات من حوله !

وقال بيل مغمغماً بوقاحة :

ـ لو اتيحت لي الفرصة لما مانعت بدوري في قضاء السهرة مع واحدة او اثنتين من اولئك السيدات .

افاقت ليزا من شرودها وقالت ببسمة خفيفة :

ـ الصدفة شيء رائع .

لقد صممت أن تطرد هواجسها ، وان كان بيل قد تعمد المجيء بها الى هنا فهو يستحق بسمة أو اثنتين على جهوده . قال مجيباً :

ـ لست امانع ان وددت ان تتوسطي لي مع ابن عمتك العزيز .

رفعت حاجبيها مستهجنة . فقبض على يدها وقال :

ـ لا اقصد الفتيات بالطبع ، انت اجمل منهن بمراحل وخصوصاً اذا ارتديت ثياباً اكثر اغراء ، ان المجموعة التي تجلس هناك قد ترفع شاباً مثلي الى اعلى المراكز أو تنزله الى الحضيض ، اننا ننظر الى مجموعة تتبادل المصالح العملية في ما بينها . هكذا تسير الامور .

تجاهلت انتقاده لثوبها المحتشم وسألته :

ـ يفعلون ذلك حول مائدة العشاء ؟

ـ انها طريقة مريحة على الأقل .

راح يضغط بلطف على كفها المأسورة بين اصابعه . وعلقت قائلة :

ـ لكنها طريقة شرعية على ما اظن .

ـ لكنك قلت . . .

توقفت مقطبة الجبين . ماذا قال بالضبط ؟

فصحح لها متظاهراً بالصبر على سوء ظنها :

ـ ما أسرعك في التوصل الى الاستنتاجات المغلوطة . لم اكن انتقد

سيمون ، فأغلب الظن انه لا يحبذ مطلق تصرف خارج عن الاصول . قلت فقط ان اجتماعاتهم هذه هي جزء من العمل .

ـ فهمت .

بدا ان عامل المطعم نسي وجودهما لكن طاولتهما منعزلة هادئة فحاولت الاسترخاء اما بيل فسايرها في اقفال الموضوع واستمر يضغط على يدها ويقرب وجهه من محياها . في ذلك الجو الخفيف النور ، راحت تنتظر ردود فعلها بلا جدوى . قلبها يخفق بصورة طبيعية ، ومع ان بيل كان يحدثها همساً الا انها لم تركز على كلامه . لماذا لا يحدث فيها اي انطباع بالمرة في حين ان نظرة واحدة من سيمون تحدث فيها الأعاجيب ؟ هل لأنها لا تحاول الاستجابة لبيل بما فيه الكفاية ؟ اذن ، فلتجرب .

أدنت وجهها منه في العتمة وابتسمت له في اغراء خجول . تراقصت اهدابها فوق عينيها الزرقاوين وانسدلت على خديها المتوردين . احست اصابعه تنقبض على يدها باستغراب قبل ان تصعد الى ذراعها . اشرق وجهه الأشقر وهمس بصوت اجش :

ـ يا حلوتي ! لقد اكتشفت لتوي انك من لحم ودم !

ـ مساء الخير .

فجأة ، قاطعها صوت سيمون ردفورد ينبعث من فوق ، فارخى بيل ذراعها فوراً . قفز واقفاً على قدميه وقال بارتباك :

ـ اوه ، مساء الخير يا سيدي . . .

من السخف ان يتصرف هكذا بالرغم من ان سيمون رئيسه ويكبره سناً ! اما هي ، فقالت بهدوء مناقض للاضطرام الذي اشتعل داخلها :

ـ مرحبا يا سيمون .

كم بدا صوتها فاتراً ، وبأية سهولة قفز اسمه الأول الى شفتيها ! في المكتب تصر على أن تناديه السيد ردفورد ـ كما كانت تفعل مع سيلاس ـ اما هنا ، فمن السخف ان تتكلف معه وأن تثير أيضاً شكوك بيل القابلة دوماً للتوسع !

تألقت عيناه والتوى فمه بتلذذ واضح حين قرأ الذعر في عينيها وقال :

ـ ما هذا ؟ يبدو اني بدأت اعتاد على مفاجئتكما في اللحظة الحرجة . لكني لم اشأ ان امر بكما بدون ان اكلمكما .

- لكنك لا تحتاج الى تبرير .

اوحت نبرتها الفاترة بانه لو مر بها صامتاً لما كانا انتبها اليه وبانها لا ترحب كثيراً بمجيئه . قرأ سيمون افكارها فحدجها بنظرة قاسية اشعلت فيها ناراً صغيرة . تلك النظرة توعدتها بأنواع عديدة من التأنيب اللاحق فارتجفت في العمق .

استدار ينظر الى بيل وقال له بلهجة فاترة ولا مبالية :

- اجلس يا برايت . لم ادر انك صديق حميم لليزا .

اجاب الشاب متلعثماً :

- انها امنية في معظمها . . . اقصد من جانبي انا .

ازداد ارتباكه وأشاح بصره عن ليزا لينظر بحيرة حوله .

ودت ليزا لو تهزه بعنف . . . هل يبغي كسب رضاء سيمون ؟ اذن فقد فشل في ذلك تماماً . ما الذي حداه الى الافصاح عن تعليق كهذا ؟ لاحظت نظرة الازدراء على وجه سيمون ، وقبل أن تتمكن من قول شيء يخفف حدة التوتر ، رفع يده مودعاً واستدار مبتعداً .

راقبت انصرافه بصمت وقد اذهلتها الحادثة . . . لقد انبأتها عيناه انه استاء من تصرفها الا انها ستتحداه ولن تأبه لذلك . انها لم تقترف اية جريمة ، وكل ما في الأمر انها كانت تستمتع بسهرة عشاء مع رجل آخر . نفضت رأسها بتحدٍ واستدارت الى بيل فانسدل شعرها على جانب وجهها مخفياً تعبيره .

هذه المغامرة مع بيل لم تسفر عن نتيجة مرضية بل تركت في فمها نكهة كريهة . انها تدرك بالطبع ان ظهور سيمون قد افسد عليها السهرة مع انها حاولت ان تقنع نفسها بسخافة الفكرة ، وكلما حاولت ان تمحو السخافة عن ردود فعلها الخاصة كلما بدت اكثر تفاهة من السابق .

لم ترتفع معنوياتها مثقال ذرة عندما اوقف بيل السيارة في بقعة هادئة وعرض عليها الزواج . فاضطرت الى القول :

- آسفة يا بيل .

انها لا تحبه ولا تجد حجة افضل لرفض طلبه . ولما لاحظت كدره الشديد اردفت قائلة :

- لكني مولعة بك كصديق .

فعلق بيل باستياء :

- هذا ما تقوله كل فتاة لتضمد جرح الخيبة !

ثم أردف بنبرة متفائلة :

- اذا انتظرتك وتسلحت بالصبر فقد تكتشفين يوماً انك مولعة بي اكثر مما تظنين .

فكررت :

- آسفة يا بيل .

احست برجفة برد فتساءلت عما يجعلها واثقة من ذلك . وقال بيل متسائلاً بدوره :

- من الجائز انك تعرفت الى شخص آخر ، ولو حدث هذا لعلمت به .

قالت تبتسم بأسى :

- ومن الجائز ان لا تعرف . انما ليس هناك شخص آخر . انه مجرد شعور لدي .

رمقها بارتياب حين اشاحت عنه ثم غمغم بجفاء :

- المشاعر تبنى عادة على اساس . في اي حال ، فقد قمت بواجب المحاولة .

لسعها كلامه فودت لو تذكره بما قاله لسيمون من ان حبه لها مجرد امنية انما عدلت عن ذلك كي لا تزيد في ايلامه المتسبب عن رفضها له . قالت بصوت رقيق :

- يحزنني ان اخيب املك يا بيل .

- الحياة ملأى بالخيبات يا ليزا . من المحتمل جداً ان اصاب قريباً بخيبة اخرى .

قطبت حاجبيها ولم تجد ما تقوله . في ضوء السيارة الخافت رأت الحرد يكسو وجهه ويهدل شفتيه . خطر لها فجأة انه يبدو مهزوماً اكثر مما يبدو محطم القلب . ثم ازدادت حيرة عندما قال بلهفة :

- انك لن تخبري ابن عمتك انك رفضت طلبي . اليس كذلك يا ليزا ؟

- اتقصد سيمون ؟

- ومن هناك سواه ؟

ردت بضيق مفتعل :

ـ لا عليك ، من المستبعد أن نناقش هذا الموضوع .

خفق قلبها خوفاً ، فقد يطرح سيمون هذا السؤال بالذات في حال ترشح بيل لهذه الترقية . ثم فكرت بامتعاض ، قد يكون هذا مقصد بيل من عرضه الزواج عليها . قالت بمرح مصطنع :

ـ اتعرف يا بيل ، انا لا احسبك تحبني حقيقة ، في اي حال ، لقد تحدثنا هذه الليلة اكثر مما يجب .

اساء فهمها لسوء حظها ، اذ انه قهقه بصوت خشن وعانقها بحرارة قبل أن تتمكن من الافلات . ولما ابتعدت عنه غاضبة قال مبتسماً :

ـ لا يجب أن تستكثري ذلك علي بعدما سمحت لي بامساك يدك اثناء تناول العشاء .

ـ آسفة يا بيل ، لم اكن رفيقة مسلية هذا المساء . انك تستحق فتاة اكثر استجابة مني . ربما يوجد خلل في بنيتي العاطفية .

ـ لا تكوني سخيفة يا ليزا .

احاط كتفيها بذراعيه ببادرة صداقة وتابع مداعباً :

ـ الموضوع يؤرقك في الوقت الحاضر . علينا أن نقوم ببعض التجارب وننتظر النتيجة ، هذا كل شيء .

لكنها وجدت نفسها عازفة عن العمل بنصيحته وحاولت جهدها ان تتحاشاه في الأيام التالية ، ولم تكن تلك مهمة مستحيلة اذ بدأ يتغيب عن الشركة لاضطراره الى العمل في مكان آخر من المنطقة . كذلك لم تر سيمون كثيراً وشعرت بالامتنان لذلك اذ ما استطاعت ان تنسى تهكمه الساخر ليلة العشاء في المطعم . ثم أسرت اليها الآنسة براون أن سيمون كان مشغولاً كعادته فلم تعلق اهمية على كلامها ، وتشبثت بنظريتها الخاصة حول ماهية انشغاله الحقيقي اذ لم تفارقها ذكرى رأسه الداكن يكاد يلتصق برأس لورا تنسون الأشقر ، في تلك السهرة المنحوسة . . .

وذات مساء ، وبعد مرور اسبوع ، اجفلت حين رأته يقف على عتبة بيتها . كانت امها خارج البيت والساعة تناهز العاشرة ، وقد عادت هي لتوها من نزهة في الحقل . كان طقساً رائعاً يتميز به حزيران/يونيو ، وقد تأخرت في نزهتها اذ وعدت امها بأن تنجز عدة اعمال منزلية بما فيها غسل الأطباق بعد العشاء .

لقد غطّت قدميها في مياه الجدول وعادت حافية تحمل صندلها بيدها . كانت تحس نعاساً لذيذاً ولم تر سيمون الا حين انعطفت حول زاوية البيت . لم تصدق عينيها بادىء الأمر وظنت لوهلة ان خيالها الخصب يصوّر لها وجوده . جمدت تحدق اليه من بعيد ثم وعت ان من حقه زيارة البيت ساعة يشاء . اليس هو مالكه اولاً وأخيراً ، وانها لا يدفعان اي اجر ؟

ومع ذلك انتابها الفضول . فلأي غرض جاء في هذه الساعة المتأخرة ؟ رمقته بنظرات حائرة في انتظار ان يلمحها . ترددت في الاعلان عن وجودها لكنه سرعان ما استدار صوبها بحركة حسية تلقائية وقال ببرود :

ـ مساء الخير يا ليزا .

شخصت الى الرجل كالمسحورة وتلكأت نظراتها على ذراعيه السمراوين اللتين تكشفهما قميص قصيرة الأكمام يعلو سروالاً صيفياً . واضح انه لم يأت في زيارة رسمية . ردت له التحية وركزت بصرها على ساعة يده الذهبية ، وهي لا تدري ان تركيزها يوحي بانزعاجها من زيارته المتأخرة .

لحظ سيمون ملامح الرهبة على وجهها فقال مبتسماً بتهكم :

ـ تقدمي ايتها الطفلة السخيفة فأنا لن التهمك . لدي مبرر شرعي للزيارة ووجود امك سيضمن لنا الحراسة المطلوبة .

ـ سيمون !

تقدمت صوبه بثوبها الطويل الفضفاض ثم توقفت حين تذكرت قدميها الحافيتين ، كذلك ذكّرها بهما الحصى تحتهما فتوردت من الألم والحرج معاً عندما انغرزت الأحجار الحادة في جلدها الطري .

عضت شفتيها لتخفي ورطتها وادارت رأسها تبحث بعينيها عن صندلها وقد نسيت انها اسقطته من يدها لدى رؤيتها المفاجئة لسيمون . وقبل أن تتحرك الى الوراء تقدم اليها في خطوتين ورفعها عن الأرض حاملاً اياها بين ذراعيه وساخراً من احتجاجاتها المختنقة .

لم ينتظر حتى يدق الباب أو ليطلب الاذن بالدخول . عبر بها بسهولة تامة ، وخيل اليها ، للحظة مجنونة ، انه سيبقيها بين ذراعيه الا انه انزلها بلطف على ارض الردهة وقال :

ـ حملتك عبر العتبة كي تتعزي بذلك في حال حرمانك من هذه المتعة في المستقبل .

اعاد رأسه الى الوراء وضحك لنكتته ، اما هي فالتهبت عروقها لأنها رغبت في البقاء بين ذراعيه ولأن تعليقه الساخر اوجعها في الصميم .

ـ هذه سخافة !

اخذ يراقبها بعينيه الرماديتين وفمه يختلج ببسمة خفيفة ثم هبط بصره الى قدميها وقال مظهراً الدهشة :

ـ لم تخبريني بعد لماذا عدت حافية ؟ لا تقولي انك كنت تلعبين في الماء كالأطفال ؟

هذا بالضبط ما كانت تفعله لكنها تفضل الموت على الاعتراف بذلك . انه لن يتفهم حبها لهذه المتع الحياتية البسيطة لاعتياده على رفقة النساء الأكثر تطوراً ودلالاً . هزت رأسها بسرعة فاهتز معه شعرها الذهبي وانسدل على وجهها . قالت متهربة من جواب مباشر :

ـ احب السير على العشب وانا حافية القدمين .

اكتشف كذبتها البيضاء وقال ليفهمها ذلك :

ـ تقصدين بعد ان تلعبي بالماء !

ـ وأنت الا تحبذ هذا التصرف ؟

ـ اوه ، نعم . انا احب الماء ايضاً لكني افضل النهر او البحر على هذا الجدول الضحل في اسفل الحقل . هل تسبحين يا ليزا ؟

ـ بالطبع . اقصد اني . . .

وهنا ساورها شك خنق بقية عبارتها . كيف عرف ان هناك جدولاً ؟ انه مخفي تماماً عن البيت ، وهو عندما جاء في المرة الماضية لم يخرج الى الحقل ؟ في اي حال ليس من شأنها أن تسأله . قالت لتغير الموضوع :

ـ تفضل الى غرفة الاستقبال . امي خارج البيت .

تذكرت قوله السابق بان امها ستكون بمثابة الحارسة لها ، انما لم يظهر اي ضيق أو اهتمام واكتفى بالقول :

ـ يؤسفني ذلك .

ـ ذهبت لتلعب البريدج مع صديقاتها . انها تلعب عادة مرة أو مرتين في الاسبوع ، لكنها تتأخر مساء الجمعة .

ـ وتتركك هنا بمفردك ؟

ـ ولم لا ؟ اننا لا نذهب معاً الى كل مكان ، كما اني اجهل لعبة البريدج

من اساسها .

تبعها الى غرفة الاستقبال وقال بصوت صارم :

ـ لا يخفاك بالطبع انكما تعيشان في بقعة منعزلة وغير محروسة مما يعرض البيت لخطر مزدوج . لم تخطر لي هذه الحقيقة عندما وافقت على بقائكما هنا .

دعته الى الجلوس وهي تحاول الاحتفاظ بالتوازن . من الأفضل الا تخبره بانها وعت هذا الخطر ايضاً بعد وفاة سيلاس ورحيل الخادمة ماري . لكن امها كانت تسخر من فكرة كهذه اذ من الطبيعي ان تتجاهل احتمال الخطر لفرط تعلقها بالبيت . . . قالت له وهي تتقصد البلادة :

ـ اتراك تخشى على الأثاث من السرقة ؟

ـ اعلمي ان هذا ليس ما اتحدث عنه يا عزيزتي ليزا . ان الأثاث آخر شيء افكر فيه .

ـ لكنه يحتوي عدة اشياء قيّمة من تحف نادرة وخلافها .

نقلت بصرها الى ساعة الحائط الثمينة التي يعود تاريخها الى عهد الملكة آن والمحفوظة داخل صندوق مستطيل مصقول ، فإلى لوحة الحركة للرسام اللندني صامويل تاونسون فالى مقعد من طراز جورج الأول مصنوع من خشب الجوز ذي قوائم محفورة تنتهي على شكل براثن . كان سيلاس مدمناً على جمع التحف وخصوصاً قبل أن ترتفع الأسعار الحالية . ومع ذلك ، بقي حتى اواخر ايامه ، ماهراً في ايجاد التحف وفي اجراء الصفقات المربحة . هبط بصرها الواجم الى الموقد الخالي . . . لطالما تساءلت ، بالرغم من تقدير سيلاس لكل انواع الفنون وللوحات امها لم يتعاطف مع طموحاتها السابقة الى امتهان رقص الباليه ؟

لاحق سيمون جولتها البصرية ، ومع انه قدّر قيمة التحف الا انه هز رأسه وقال متذمراً :

ـ لست مهتماً بالناحية المادية ، لكن ما دمنا فتحنا سيرتها فأرجو تذكيري بأن اراجع شركة التأمين حولها . لا ريب انها مؤمنة بشكل جيد مثل معظم شؤون عمي .

وقبل أن تفكر في صياغة سؤال لاسع قال سيمون قاطعاً الصمت القصير :

ـ لنأخذ الأثاث مثالاً على اجتذاب الخطر . هناك اناس قد يهتمون كثيراً بسرقة التحف أو بفعل اشياء اخرى . افترضي اني كنت لصاً أو نذلاً ، فكيف كنت ستدافعين عن نفسك هذا المساء وليس لديك أي شيء ليحميك ؟

ـ سنرى ما يمكننا فعله .

كانت تقف قبالته وأصابع قدميها تغوص متلملمة في السجادة فتنهد قائلاً :

ـ انك تراوغين يا ليزا ، ويجب ايجاد حل جذري للمشكلة .

قررت ان تغلق ذهنها على هذه القضية ، فالوضع ككل يشكل في نظرها مشكلة واحدة كبيرة ، والطريقة الوحيدة التي تمكنها من العيش معها بدون ان تفقد عقلها ، هي ان تكف عن التفكير فيها . اضافة الى ذلك لا تريد أي تدخل من سيمون مع انه مالك البيت الشرعي . سألته بسرعة :

ـ ألأجل هذا جئت لزيارتي هذا المساء ؟

ـ لم آت لهذا الغرض ولنترك هذا الموضوع في الوقت الحاضر . جئت لأحدثك في قضية اخرى لكني سأرحب بكوب شراب أو بقهوة قبل الشروع في الكلام . على الرجل أن يكون متيقظ الذهن والحواس لدى اجتماعه بك يا عزيزتي ليزا .

ـ اوه ، طبعاً ، الشراب هناك فرجاء ان تسكبه لنفسك .

هربت منه محمرة الوجه . شكّت في انه يمزح لكنها قصرّت في واجب الضيافة . ناداها وهي تخرج من الباب :

ـ سأذهب للبحث عن صندلك لبينما تعدين القهوة .

فور دخولها المطبخ اشعلت ابريق القهوة الكهربائي ثم بحثت عن صندل آخر انتعلته .

وفي انتظار غليان القهوة ، غسلت يديها ووجهها الساخن تحت حنفية المطبخ ثم سحبت مشطاً من احد الأدراج وسرحت شعرها الحريري . نظرت في المرآة فلحظت شحوب وجهها وذبوله ، فتناولت احمر الشفاه الموجود في الدرج ولونت به شفتيها الا ان لونه الباهت اضفى عليهما بريقاً لؤلؤياً لم يحسّن مظهرها قيد شعرة .

هزت كتفيها احتقاراً لسخافتها وأشاحت عن المرآة . لا ريب ان

سيمون لن يلحظ أي تغير فيها الا اذا كان شيئاً عادياً جداً كسيرها حافية .

خير لها ان تذهب لتكتشف الغرض من زيارته . هذه الأيام لا تجد فرصة للتحدث معه في المكتب وربما بسبب المراقبة الدقيقة التي تفرضها الآنسه براون . هيأت طبقاً من البسكوت والتقطت الصينية وهي تتنهد . اذا ازعجها موضوع حديثه فسيكون لديها وقت للتفاهم معه لأن امها لن تعود قبل منتصف الليل على الأرجح .

www.elromancia.com

٥ـ خاضا معاً تجربة حسية عنيفة امتزج فيها الالم بالمتعة فيما بقي الباب موصداً على ذلك العالم المجهول الذي لم تستعدّ بعد لأن تتورط فيه

كان سيمون ما يزال مستلقياً على مقعده حين عادت ليزا الى غرفة الاستقبال. رأت صندلها يتدلى من يده فاحست بالارتياح لانه عندما خرج يبحث عنه لم يمر بالمطبخ ويضبطها وهي تحاول اصلاح زينة وجهها.

وضعت الصينية على الطاولة المغطاة بالزجاج فالقى صندلها على السجادة وقال باسماً:

ـ ارى انك وجدت حذاء آخر. لقد سكبت لنفسي بعض الشراب. ارجو ان لا تنزعج امك من ذلك؟

ـ امي؟ كلا، بالطبع.

جلست قبالته وهي تحس ان جوابها بدا متكلفاً لكنها شعرت بالخزي لانه اعتذر عن استعمال شيء من المفروض ان يخصه هو بالدرجة الاولى.

سألها فجأة:

ـ كيف حال امك؟ يبدو انها عادت تشعر بالاستقرار.

ـ هل رأيتها مؤخراً؟

ناولته فنجان القهوة فاضاف اليه ملعقة سكر واجاب بصوت سلس:

ـ لا، الا انها حدثتني على الهاتف بعد زيارتنا لستراتفورد بوقت قصير، واظهرت امتناناً لم تظهره ابنتها.

تضرجت وشعرت بحرارة تلهب وجنتيها. كان يجب ان تعلم انه لن يترفع عن تذكيرها بفضله عليها باساليبه الذكية المبطنة. التفتت اليه بسرعة وهي تشعر بكره تجاه سطوته الفائقة. لا بد انه يلتذ بالهيمنة على العدو ويجعله يقف دائماً على سلاحه! لقد ذكرت امها مخابرتها لسيمون لكنها نسيت ذلك. صوّبت بصرها الى عينيه وقالت بصوت بارد:

ـ لقد بيّنت لي جحودي في مرة سابقة يا سيد ردفورد، وأظن اننا توصلنا وقتها الى اتفاق مرض للطرفين.

ـ انها وجهة نظرك الخاصة يا عزيزتي ليزا، ولا اريد ان اسمعك تناديني السيد ردفورد.

لمست في صوته وعيداً معيناً الا انها تجاهلته. لقد سمعت هذه النبرات المرهبة من قبل واستطاعت ان تتخطاها. شمخت بذقنها المستدير لتفهمه رفضها لمحاولاته التخويفية وقالت:

ـ اعتقد اني احافظ على دوري في الاتفاق، وهو على ما اذكر، ان استمر في العمل معك.

ـ الا تتساءلين ابداً عما اجنيه انا من ذلك؟

قالت بما يشبه اللهاث:

ـ لا اجد ضرورة للتساؤل. انك تستمتع باحراجي، ان كان هذا ما تقصده. لا شك انك تستمتع بتسلطك على الناس لتتمكن من تحريكهم كاحجار شطرنج.

استرخى على مقعده برشاقة كسولة وقال:

ـ معاذ الله! انك تضعينني في قالب الدكتاتور الطاغية! كان يجب ان تعترفي بالحقيقة وتقولي اني اثيرك بعض الشيء... احرك جملة مشاعر تفضلين ان لا اثيرها فيك، وبعضها لا علاقة له بالعمل بتاتاً.

اتقدت عيناها بوهج غريب وقالت متململة:

- تبدو وكأنك درست نفسيتي باهتمام. من المحتمل انك اسأت فهمي تماماً.

- لا اعتقد ذلك. ان كنت اعطيت نفسك الحق بان تقيّميني فيجب ان تسمحي لي بان ابادلك مجاملتك بمثلها.

- هذا تصرف سخيف!

- لا اعتقد ذلك، انما سننتظر المستقبل لنتأكد، وفي حال ثبت اني كنت مخطئاً فسوف اعترف بخطأي.

- لكنك تظن نفسك معصوماً عن الخطأ!

تعمق بريق عينيه وقال بصوت مؤنب بعض الشيء:

- التهكم لا يليق بالسيدات يا ليزا.

رفعت فنجانها بيد متوترة واحنت رأسها فوقه لتهرب من تحديقه الساخر... يجب ان تغير الموضوع لأن الحوار اتخذ منحى خطراً بالنسبة اليها. احست انها خارج اعماقها وانها عاجزة عن احتواء خبرته العاطفية الطويلة. كان عليها ان تقيّمه بدقة، كما اقترح، لكن تعليقه بعيد جداً عن الواقع، بل هو مزحة الموسم! فكيف ستتمكن من فهم هذا الرجل الشديد الغموض؟ استطاعت فقط ان تفهم شيئاً واحداً، شيئاً ترفض الاعتراف به، هو ان سيمون يثير مشاعرها بشكل ما والى حد ما، وقد اثار غضبها حدسه لهذه الحقيقة. قالت في الأخير لتقطع الصمت الموحش:

- قلت انك جئت لتحدثني بموضوع معين. هل نسيت ذلك؟

- كلا، لم انس، كدت اقرر ان اتركه الى فرصة اخرى انما لم احسب حساباً لفضول الانثى.

احست باسترخاء فوري فابتسمت لكونها فهمت نكتته الواضحة هذه والتي خلت من نبرات التهديد السابقة. اجابته بخفة ومرح:

- من واجبات السكرتيرة ان تذكّر رئيسها بين حين وآخر.

- هذه عادة يجب ان تقتصر على المكتب في نظري.

على كل فالموضوع يتعلق بالمكتب. او بالاحرى بعملك نفسه. متى كانت آخر مرة حصلت فيها على زيادة راتب؟

استدارت لتتفرس في وجهه وسألت بارتباك:

- زيادة راتب؟ ما الذي يحملك على السؤال؟

- كفي عن المناورة يا ليزا. اريد جواباً صادقاً. لم اشأ ان استوضحك الامر في المكتب تهرباً من تجسس الأنسة براون.

- لم اقصد ان اناور فهناك اشياء لا يهتم المرء بتذكرها. اعتقد اني لم احصل على زيادة منذ بضع سنوات.

- ليزا... لم يمض على عملك الا ثلاث سنوات! لقد راجعت السجلات.

فهتفت حانقة وهي تقذف شعرها الطويل الى الوراء:

- انك مولع بالمراجعات، اليس كذلك؟

- عند الضرورة فقط...

- اذن لا بد انك عرفت الآن. بعد تمحيصك للسجلات، اني لم احصل على مطلق زيادة!

- اذن لماذا تتظاهرين بعكس ذلك؟

كان صوته يضج بالضيق وبالعزم على استخلاص الحقيقة فردت قائلة:

- لأن تصرفك يحيّرني...

- تقصدين الحاحي؟ راتبك على حاله واريد معرفة السبب.

- لأني لم اطالب بزيادة.

مرر يده على جبينه وقال:

- لم تطالبي! أتعنين ان الزيادة عرضت عليك لكنك تمسكت بكبريائك السخيفة ورفضت قبولها لان سيلاس قريب لك؟

- كنت قانعة تماماً بما لدي. فسيلاس أمّن لي السكن المريح هنا.

- لكن النقص في راتبك كان يفوق هذا المقابل.

- امي كانت تعيش هنا ايضاً.

- موضوع امك شيء آخر فهي كانت تقوم باعباء عديدة تشمل ادارة البيت واقامة الحفلات والمآدب. وجودها هنا وفّر على سيلاس مالا كثيراً ولا ريب، لان دعوة الناس الى المطاعم تكلف غالياً.

انه يجعل الامر يبدو غاية في الموضوعية فيما كان سيلاس يعتبرهما فردين من العائلة.

قالت بجمود:

- لقد اظهر الكثير من كرم النفس اذ اسكنتا معه بعد وفاة والدي، وما توقف يوماً عن اكرامنا.

- لكنه لم يتكارم معك انت الا اذا...

توقف قليلا ثم اردف بنبرة حادة:

- هل فعل ذلك ليخفف عنه ضرائب الرواتب؟ هل كان يضع زيادتك على حدة ولا يدوّنها في الدفاتر؟

- وكيف تجرؤ على كلام كهذا! كان ذلك آخر شيء يفكر في فعله وكان آخر شيء اوافق عليه انا!

اوما بفتور وقال دونما اعتذار:

- الآن اتضحت لي الأمور. سيزداد راتبك ابتداء من هذا الاسبوع. سيزداد كثيراً. سأرى ما يمكنني فعله.

وفجأة سمعت نفسها تتوسله قائلة:

- لا. ارجوك. ارجوك الا تفعل شيئاً! لا اريد اية زيادة يا سيمون. اننا نسكن هنا مجاناً. اعتبر فارق الراتب مقابل بدل للايجار. لا ابغي اكثر من ذلك.

فاستوضحها بصوت املس كالحرير:

- ماذا عن نفقاتك المعيشية؟ حتى لو كانت امك مؤمنة مادياً فلا اظنك تفكرين في الاتكال عليها من هذه الناحية.

- راتبي الحالي سيغطي نفقاتي.

صمت سيمون فالتفتت اليه بسرعة لتجده يحدق اليها مفكراً. اشاحت بصرها سريعاً فيما هوى قلبها بين جنبيها. اي هراء هذا الذي قالته؟ لماذا تفكر بهذا الاسلوب اللاواقعي؟ صحيح ان امها تحتفظ بمبلغ ما، لكنها لا تعرف رقمه كما ان امها اظهرت تردداً في التحدث عنه بعد وفاة سيلاس. الا انها استطاعتا تدبير الامور لغاية اليوم، واذا تضايقتا مادياً فيمكنها عندئذ ان تجد عملا مسائياً وقد تبيع امها مزيداً من اللوحات التي كانت تباع باثمان جيدة في ما مضى. مهما حدث فمن الضروري الا تعتمد مادياً على سيمون بأي شكل. نظرت اليه ثانية ولم تضف شيئاً الى جوابها السابق. قال بايجاز وقد قرر على ما يبدو ان يقفل الموضوع:

- ليكن ما تشائين لكني قد ابحث الامر مع امك.

- كلا!

هبت واقفة بلمح البصر وتمسكت بذراعه باندفاع تلقائي. لا يجب ان يفعل هذا فامها ستتقبل منه اي شيء وسوف تدوس على كرامتها مقابل ان تظل تعيش مرتاحة في هولوز اند. كررت وهي تشد باصابعها على ذراعه:

- ارجوك، فقد تثور اعصابها.

- قد تفعل لكن الغضب ضروري احياناً. في اي حال، اذا احتجت الى اية مساعدة يا ليزا، اريد منك وعدا بان تأتي الي.

- لماذا؟

وعت فجأة انها تتمسك بذراعه فارخت يدها كما لو ان لمسته قد حرقتها. ثم اردفت تقول بلا تفكير:

- يمكنني دائماً ان اقصد بيل.

- كلا! لن اسمح لك بذلك!

لمست في نبراته مصيبة وشيكة مع انها لم تجد لها مبرراً. اتراه لا يميل الى بيل برايت ام يعتبر ان رفقته لا تليق بفتاة تجري في عروقها حفنة صغيرة من دم آل ردفورد؟ حمدت الله بحرارة على عدم قرابتها لهذه العائلة وكرهت شعور سيمون بانه مسؤول عن حمايتها بسبب شيء غير موجود فيها. ازاحت شعرها الى الوراء كعادتها كلما شردت وهتفت بنزق:

- انت تتصرف بغاية السخافة، انما لا موجب لقلقك فانا لن احتاجك ولن احتاج سواك من الرجال.

ادركت مدى تهورها حالما انهت كلامها فبدأت تبتعد عنه لتحمي نفسها الا انه اعتقل ذراعها وقال وهو يغرز اصابعه فيها ليؤكد صدق كلماته:

- بل تحتاجين رجلا يا ليزا لكنك تخافين من الرجال او على الاقل تتعاملين معهم بحذر شديد. لماذا يا ترى؟

- انك تتكلم بلغة الالغاز. اني، بحكم عملي، اختلط بالرجال طوال الوقت واستمتع برفقتهم كأي فتاة اخرى. ثق باني لا اشكو اي نقص في النجاويات الطبيعية.

- كم يسرني ان اسمع هذا.

- انت لا تصدقني!

- ليس تماماً، انما هناك طريقة واحدة لاكتشاف الحقيقة.

تأخرت ليزا في تحرير جسمها من قبضته اذ ضمها الى صدره بحركة سريعة قوية. ضغطت كفاه ظهرها بدفء وحزم من خلال ثوبها الرقيق، وقبل ان تحاول الافلات ثانية رفع ذقنها واقترب من وجهها فاذ بالنار التي كانت تستعر بهدوء في عروقها تهب مشتعلة وتهدد باحراقها كلياً.

كانت لمسته لطيفة بادىء الامر كأنه يحاول فقط ان يداعبها، اما انفاسه الدافئة والخالية من اية بادرة عاطفية فقد دلت على انضباط تفتقده ليزا. فهي لم تشعر من قبل بمثل ما تشعره الآن، ليس مع بيل ولا مع اي شاب سواه. انها تترنح تحت فيض عاطفي متدفق وتشعر بحيرة مذهلة من ردود فعلها الخاصة. شيء في داخلها ادرك ان هذا ما كانت تنتظره. ومع ذلك فقد احست بصدمة خفيفة ازاء تجاوبها السريع.

انها تلتصق به بدل ان تبتعد عنه فيما قلبها يخفق بجنون ويتناغم مع خفقات قلبه عبر قميصه الحريري الرقيق.

ـ قلت انك قادرة على التجاوبات الطبيعية وانا قلت اني سأحاول اكتشاف الحقيقة.

فشهقت كمن يهذي:

ـ لن اعترض على كلامك.

اوقفت مقاومتها وظنت انها قد تجد الامان اذا استكانت بين ذراعيه. سقطت خصلة من شعرها على خدها وتركته يزيحها بنفسه لعجزها عن الحركة.

اقترب منها وقال برقة:

ـ انك ترتجفين ولا موجب لذلك. عليك ان تتقبلي هذا كدرس مفيد لفتاة تبتدىء تعلم الحب.

ابعدها عنه بلطف كما لو انه لا يريد افلاتها. كانت ترتجف على رغم منها وهي تعود ببطء الى ارض الواقع. لقد خاضا معاً تجربة حسية عنيفة حيث امتزجت المتعة والألم في بوتقة واحدة، فيما بقي الباب موصداً على ذلك العالم المجهول الذي لم تستعد بعد لأن تتورط فيه.

وكأنما استشف سيمون ترددها الباطني فارخى ذراعيه وقال بلطف:

ـ لنسر خطوة بعد خطوة. اما الآن فقد حان موعد نومك. الى اللقاء غداً وتصبحين على خير يا ليزا.

لم ينتظر جوابها بل خرج فوراً من الغرفة واغلق الباب وراءه باحكام، فما استطاعت ان تفعل شيئاً لتمنعه من الانصراف.

بعد ليلة امضت معظمها تصارع الارق اطل الصباح التالي حاملا معه اخباراً مزعجة بل مزيداً من الصدمات.

لقد ارتأت الا تطلع امها على زيارة سيمون المسائية لانها لم تتهيأ بعد لاعطائها تفسيرات معقولة للاسئلة الكثيرة الذي ستطرحها عليها، كما ساعدها على الصمت ان مونيكا، منذ وفاة سيلاس، ما عادت تستيقظ باكراً الا في ما ندر، وخصوصاً بعد سهرة طويلة خارج البيت. وهي ان علمت ان ليزا قد رفضت زيادة كبيرة في الراتب فسوف تقيم الدنيا وتقعدها، وليزا نفسها شعرت هذا الصباح انها تصرفت بحمق حين اتاحت لكبريائها ان تتغلب على رجاحة عقلها، فالمال الاضافي كان كفيلا بسد ثغرات عديدة، وفي اي حال، انهما تعيشان هنا كحارستين لبيتها يقرر سيمون مصير البيت، ولولا وجودهما لاضطر ربما الى استخدام اناس آخرين عوضا عنهما.

وصلت المكتب مشوشة الذهن وأملت بحرارة ان يستمر نمط الايام السابقة فلا ترى سيمون على الاطلاق. ان ذكرى لمساته لا تفارقها وتحتاج الى ارادة حديدية لتمنع نفسها عن التفكير فيه باستمرار فكيف ستنجح في ذلك؟

وجدت ان الآنسة براون قد وصلت باكراً كعادتها، ولا عجب، فهي تراعي دائماً ان تكون القدوة الصالحة في المحافظة الدقيقة على مواعيد العمل اضافة الى مناقب اخرى. الا انها بدت هذا الصباح مشتتة الذهن على غير عادتها. كانت تفرز الرسائل البريدية ووضحت لليزا ان اختها القاطنة في مايوركا قد اصيبت بحادث يقتضيها البقاء في المستشفى اسبوعاً او اثنين ولذا ستطير اليها على جناح السرعة.

اضافت بشيء من الهستيريا انها قضت الليل تحزم حقائبها، وكانت لفرط اضطرابها تكرر العبارات نفسها اكثر من مرة وفي الأخير صمتت لتلتقط انفاسها فسارعت ليزا الى القول:

ـ يؤسفني ما حل باختك يا آنسة براون لكنك بالكاد رجعت من مايوركا.

هذا التعليق التافه في نظر الآنسة براون لم يؤثر فيها اطلاقاً فاجابت محتدة وهي مكبة على فرز الرسائل:

ـ ان موسم السياحة في اوجه هناك ويجب ان اذهب لاساعد في ادارة الفندق بدلا من كارولين علي ان اعتني ايضاً باولادها. زوجها، لسوء الحظ، لا يحسن ادارة الفندق. يجب ان تتابعي العمل عني خلال غيابي.

ـ لكن ماذا سيقول سيمون عندما اعلمه انك رحلت؟ ام انك تعتزمين انتظاره لتخبريه بنفسك؟

كان يجب ان تعلم ان الناس امثال الآنسة براون يحتفظون دائماً بالورقة الرابحة الاخيرة، اذ اجابتها بهدوء:

ـ لقد اعلمت السيد ردفورد ذلك. لم استطع الاتصال به الا بعد منتصف الليل انما ثقي انه تفهم موقفي كلياً، بل انه رتب كل شيء واصر على دفع تكاليف رحلتي. لقد حجزت في الطائرة وساغادر بعد ساعة ولم آت الى المكتب الا لالتقط بعض اغراضي الخاصة. من المفروض ان تصل سيارة التاكسي في اية لحظة.

وبالفعل رحلت بعد وقت قصير، وبالرغم من شعور ليزا المتعاطف مع اختها الا انها احست ايضاً بخيبة واستياء عظيمين، وبدا لها ان الاقدار تعاندها باستمرار، فهذا يعني انها سترى سيمون طوال الوقت، وهذا ما لا تريده حتماً بعد الذي جرى بينهما!

استدعاها في وقت لاحق الى مكتبه وسألها بجفاء:

ـ اما زلت مصرة على رفض الزيادة؟

صمتت لحظة لا تجيب اذ شعرت انها تغوص في عمق بحر وتحتاج الى وقت لتسترد انفاسها او لتسبح الى الشاطىء.. لعله من الافضل ان تواجه المشكلة... تتمنى فقط لو يكف قلبها عن خفقانه المجنون ليسهل عليها التظاهر بالهدوء.

نظرت في عينيه وقالت بخفة:

ـ اجل، في اي حال، اشكرك يا سيدي.

شيء ما في نظرته جعلها ترفع رأسها بتحد وهي تردف:

ـ افضل ان يبقى الراتب على حاله كما اوضحت سابقاً. من جهة اخرى، قد تعود الآنسة براون قريباً. ارجو ان تجد اختها في حال صحية

افضل.

ـ هذا ما ارجوه بدوري يا آنسة لوسون، لكنه نذير شؤم كما يقال. اني افضل العمل معك بصورة عامة، وعسى ان لا تدعي هذا الاطراء يدير رأسك. لا شك ان الآنسة براون سكرتيرة ممتازة لكن اساليبها لا تتطابق مع اساليبي، فلقد تكيفت مع نمط رجل آخر في العمل، واقصد عمي بالطبع.

ـ انها تعرف عن البناء اكثر مما اعرف، يا سيد ردفورد.

ـ ليزا، بصفتك سكرتيرة لي لن تحتاجي الى معرفة الكثير عن تفاصيل البناء بل الى فكرة عامة تتيح لك فهم ما اقول وانا مقتنع بان هذه المعلومات متوفرة لديك. اني اقدر فيك شيئاً هو انك شابة ومن السهل عليك ان تتكيفي مع طريقة تفكيري، فيما تميل الآنسة براون الى خلط الأمور لتصورها بان العكس هو الصحيح.

رن الهاتف فالتقط السماعة واخذ يتكلم وهكذا قطع عليها فرصة الرد. شعرت بلسعة خيبة وهي تفكر بالطريقة الحاسمة التي قيّم بها الآنسة براون، وفي ضوء تعليقاته تلك داخلها شك في مصداقية نيته الطيبة تجاهها هي. ايعقل انه يسعى الى التخلص من الآنسة براون من خلال تظاهره بعطف لا يحسه فعلا؟

لقد ارتابت من قبل في اساليبه الغاشمة للحصول على مبتغاه وتصرفه الاخير يبدو انه يؤكد شكوكها. ان جميع السكرتيرات مجرد رهائن بالنسبة اليه، كذلك شتان ما بين حياته العملية والاخرى الاجتماعية، فها هو هذا الصباح يعاملها بقسوة وحقد وكأنه لم يرها ليلة امس او يعانقها. لقد اشار فقط الى موضوع زيادة الراتب. هل قصد بذلك ان يعوض عن الاحراج الذي سببه لها، حسب رأيه، ام كان يلوح بتلك الزيادة كرشوة خشية ان تحرجه اجتماعياً؟

مرت الأيام على المنوال ذاته لكنها شعرت بارتياح عظيم عندما اضطرته اعماله الخارجية الى التغيب عن المكتب معظم الوقت. لقد تركت بدون مساعدة لتواجه الرد على الاستيضاحات المستمرة وكان عليها ان تحيلها لمختلف الاقسام تبعاً لنوعياتها، كذلك رتبت مواعيد لقاء مع اناس ارادوا ان يقابلوا سيمون شخصياً. العمل يبدو في ازدهار مطرد وهي لا تتذمر من

انشغالها الدائم لكنها سترهق حتماً ان استمرت تحمل كل هذه المسؤوليات بمفردها. لا يسعها الا الانتظار، انما سيمنعها انشغالها في الوقت الحاضر عن التفكير كثيراً في الرجل الاسمر المغرور الذي يبدو غير آبه لها مع انه يستمتع باثارة مشاعرها.

في احدى الامسيات عاد الى المكتب قبيل السادسة، وكانت ليزا توضب اغراضها استعداداً للانصراف. يا لطاقته التي لا تنضب! فها هو يعود نشيطاً بعد يوم مثقل بالعمل!

قذف مجموعة اوراق على الطاولة وقال ناظراً اليها بامعان:

ـ حسبتك قد ذهبت وكنت اود رؤيتك. هيا، هات معطفك لاوصلك الى البيت فانا سأمر في تلك الطريق باي حال.

اومأت موافقتها ولم تجادله هذه المرة لفرط اعيائها. شيء في صوته اثار فضولها كذلك رحبت بان تستريح اليوم من العودة بالباص. في الطريق سوف تطلعه على بعض القضايا التي تتطلب رأيه.

سبقته على الدرج وجلست الى جانبه في السيارة ثم اغمضت عينيها.

ـ متعبة؟

انساب السؤال بلطف على مسمعها الا انها هبت تجلس في حركة دفاعية وندمت على استسلامها للاسترخاء. هل تصور انها تستعد لبدء درس جديد؟ لقد سوّل لها غباؤها انه لن يلحظها بهذه السرعة لانشغاله باخراج السيارة من الفناء.

احمرت وجنتاها واجابت باحتراس:

ـ الى حد ما.

ـ لم ارك من قبل على هذه الحال من التعب. سآتيك غداً بمن يساعدك. هناك فتيات في قسم الاستعلامات يمضين معظم الوقت بلا عمل.

ـ لا اريد اية مساعدة. ارجوك لا تتدخل.

ـ انا ايضاً كنت مشغولا انما خارج متطلبات الشركة. لقد وجدت حارساً لشقتكما.

استدارت بسرعة لتنظر اليه وهمست في شبه اختناق:

ـ حارس؟ لكن ما حاجتنا الى واحد يا سيمون؟ اقصد، حسبت ان الحراسة مطلوبة مني ومن امي؟ انك تتكلم عن هولوز اند، اليس كذلك؟

رأى الصدمة على وجهها فقال مقطباً:

ـ اجل، وانت التي اقترحت ان تقوما بهذا العمل.

ـ لكننا عقدنا اتفاقاً.

ـ وما زال ساري المفعول. انا لا ارغب في ازعاج امك بل في حمايتها.

فهتفت بصوت متقلص:

ـ يا لشهامتك المذهلة! لقد فعلت هذا لأني كنت بمفردي ليلة امس فاعتقدت ان ذلك يعرض بيتك للخطر. لا داعي للتظاهر بان مشاعرك الخاصة لها دخل بالموضوع.

ـ صحيح، انما ليس من كل النواحي. لنوضح هذه النقطة بالذات.

ـ اذا جئت بحارس لن يكون هناك متسع لسكننا.

ـ لقد نسيت جناح الخدم القديم...

وهنا عبر بوابة هولوز اند ثم انعطف الى اليمين واوقف السيارة على الدرب المخفي عن البيت. فوقهما كانت الاغصان تتمايل مع هواء حزيران (يونيو) وبدت انها تلفهما في عالم من الصمت خاص بهما. اطفأ محرك السيارة وقال:

ـ هنا، يمكننا التكلم بهدوء لبضع دقائق.

لم تفطن الى توقفه لشدة انذهالها كذلك ضايقها ان يطلعها على هذا الخبر بدلا من امها. كان واضحاً انه يتحاشى الاجتماع بمونيكا لسبب لا تفهمه. لكنها ركزت الآن على موضوع الشقة فقالت مقطبة الجبين:

ـ الشقة مهجورة منذ سنوات طويلة كما تحتاج الى تنظيف وتجديد أثاث.

ـ هذه ليست مشكلة. سارسل اناساً ليقوموا بهذا العمل. هل تصورت اني كنت ساطلب اليك القيام بذلك يا عزيزتي ليزا؟

ـ قلت انك وجدت حارساً. كنت احسب ان هذا النوع من الناس قد انقرض تقريباً. فكيف استطعت ايجاده بهذه السهولة؟

القى ذراعه على ظهر مقعدها وقال مراقباً اياها بتركيز:

ـ تعلمين اننا كنا نعتزم المباشرة بهدم بيت قديم في منطقة آلكستر لان مالكه الحالي لا يملك المال الكافي لترميمه، لكنه ما يزال يتمسك به، وكأنه ينتظر حدوث معجزة.

ـ وهذه المعجزة لم تحصل؟

- كلا، فالمعجزات نادرة هذه الأيام. خلاصة القول، ان هذا الرجل كان يستخدم زوجين للعناية بالبيت اثناء وجوده خارج البلاد. انهما يعملان لديه منذ سنوات وهما جديران بكل ثقة، لكنهما لا يريدان عملا ثابتاً في الوقت الحاضر بل عملا مؤقتاً ومريحاً لانهما يبغيان الاقامة في الريف في المستقبل القريب.

فواجهته قائلة بغضب:

- وهكذا قدمت لهما الشقة. الم يخطر لك ان تتساءل عما اذا كنا نرغب في وجودهما ام لا؟

- ليزا، انا ادري بصالحك منك.

عاد يوحي باشياء مبطنة لا علاقة لها بالشقة، انما لا وقت لديها الآن لتجادله حولها. الشقة جزء من البيت وكامله التجهيزات، وقد يكون من الافضل ان يسكنها هذان الزوجان وحيث تطمئن الى وجودهما قرب امها في الوقت نفسه. الا ان لديها شعوراً بان سيمون يخفي شيئاً لا يعتزم اطلاعها عليه- في الوقت الحاضر على الاقل. قالت بعناد وغضب الهب محياها:

- الحراس المهرة يطلبون اجوراً عالية ولذا لا موجب لان تضحي بمالك من اجلنا. اليس من الافضل ان تغادر البيت لتسكن انت فيه؟ من السخف ان تجشم نفسك كل هذه النفقات.

- ليزا، سافهمك للمرة الاخيرة اني لا اقوم بذلك من اجل امك فقط. ان الرجل لا يبلغ السن التي بلغتها بدون ان يتعلم فائدة التريث في اتخاذ القرارات. اعمال الشركة هي همي الاكبر في الوقت الحاضر ولا يهمني امر الشقة بتاتاً، وبالتالي لا ازعج ذهني باحتمالات استثمارية قد لا تأتي علي باية فائدة.

- اذن لم لا تبيع هولوز اند لتستريح منه؟

قال وشفتاه تختلجان بابتسامة مكتومة:

- هناك احتمالات اخرى بالنسبة الى هولوز اند.

- كيف يمكنك الاستفادة منه؟ انه ليس كبيراً بما يكفي لتاجيره الى مؤسسة او مدرسة.

- لا عليك من امره. اشغلي ذهنك بمشكلاتك الخاصة.

- الم تعجبك بيرمنغام؟

- وهل تعجبك انت؟

ها هو يتجاهل اجابتها للمرة الثانية! لا جدوى من الاعتراض. قالت وهي تتنهد باستسلام:

- نعم ولا.

سألها فجاة محدقاً الى وجهها بفضول:

- اين عشت قبل ذلك؟ انك لم تسكني مع سيلاس طوال حياتك؟

لم تكن مستعدة لهذا السؤال الذي بعث فيها شعوراً بارداً من الرعب. انه شعور سخيف ناتج عن خشيتها من افتضاح الحقيقة. قالت اخيراً وهي تتململ:

- كلا، فوالدي توفي حين كنت في العاشرة من عمري. كان رجل دين ومقره يبعد بضعة اميال من هنا.

ذكرت له عنوان المقر لانه يتوقع منها ذلك، الا انها سرعان ما ندمت حين قال بعذوبة:

- فهمت... يجب ان ازور المكان في وقت ما لأتعرف الى المنطقة.

احست بتبدل الجو فاعترتها عصبية قلصتها. قالت لتغير الموضوع:

- لا بد انك كنت تعرف شيئاً عن الحارسين الجديدين ليلة امس لكنك لم تقل شيئاً!

- كلا، عرفت هذا الصباح عندما ذهبت لاتفقد البيت. اني اعرف صاحبه معرفة بسيطة وقد طلب مني ان ارافقه.

- ألم يكن هذان الزوجان مرتبطين بعمل آخر؟

- قلت لك سابقاً انهما كانا يعتزمان قضاء بضعة اسابيع في بيرمنغام وحدث اني كنت موجوداً وهما يذكران ذلك. اتفقت معهما ان يمكثا معنا حتى الربيع المقبل.

- وخلال ذلك تكون قد قررت ما تود فعله.

- بل ساقرر قريباً جداً يا صغيرتي الحشرية، حان الآن موعد انصرافي.

هزت كتفيها بفتور. لقد اخرته طويلا عن موعده. قالت بتهذيب:

- اشكرك على ايصالي.

رفضت ان تنظر اليه او ان تشكره على اي شيء آخر.

- تصبح على خير.

اضافت بتمرد ومدت يدها تبحث عن مقبض الباب.

انما قبل ان تستطيع الهرب انحنى عبرها ليفتح الباب وضحك بشدة هازئاً بكلماتها المتكلفة ومتفحصاً وجهها الساكن وذقنها المتحدية.

- تصبحين على خير، يا عزيزتي ليزا.

ثم احنى رأسه، وعانقها حيث توقف قلبها للحظة عن الخفقان، قبل ان يفلتها.

٦- اتضح لليزا انه ليس ناسكاً. تذكرت عناقه العنيف وقوة ذراعيه، فتأكد لها ان لورا ستكون اكثر قدرة منها على التجاوب معه. الا ان تصورها للورا بين ذراعيه أثارت فيها ألماً كاوياً من الصعب ان يمحى.

استطاعت ليزا في وقت لاحق ان تتذكر بوضوح كلمات سيمون التهكمية ومحياه الأسمر القاسي، والجهد الذي بذلته لانتزاع نفسها من بين ذراعيه ولكنها لم تتذكر بالضبط كيف قطعت المسافة من السيارة الى البيت.

ربما كانت تركز ذهنها على ما ستقوله له في اليوم التالي، لتختصر غضبها المكتوم ولتعبر عنه بكلمات قليلة مختارة، وهكذا أزالت رياضتها الذهنية كل حركاتها الروتينية الأخرى. لم تتذكر ايضا كيف أدخلت المفتاح في الباب الأمامي. وكل ما تذكره هو دهشتها واجفالها حين وجدت نفسها على أرض المطبخ.

كانت مونيكا خارج البيت. قرأت ليزا باستياء الرسالة القصيرة التي تركتها لها على الطاولة، وقالت فيها انها ستعود بعد ساعة او اثنتين انما لم

www.elromancia.com

تذكر أين ذهبت.

نظرت بعدم اكتراث الى طعام عشائها المهيأ باتقان على جانب المائدة الواسعة النظيفة. شيء ما ذهب بشهيتها هذا المساء ولا تميل الى تناول السلطة والفاكهة. قطبت جبينها بتعاسة وحدقت الى سلطة الخس الذاوية. هذا الاسبوع تناولتا السلطة مع كل وجبة. خس من الحديقة، بعض الفجل ولا لحم على الاطلاق. هذا ما قصدته امها عندما تذمرت من غلاء الأسعار، لكن هل وصل بهما الضيق الى هذا الحد؟ هزت كتفيها مستسلمة وأشعلت ابريق القهوة الكهربائي.

جلست الى الطاولة لتستريح في انتظار غليان القهوة. ثيابها المبللة بالعرق تلتصق بجسدها وتتمنى لو تستحم في المغطس لكن فتور الماء في الآونة الأخيرة سيضطرها الى استعمال الدوش فقط. لا مياه ساخنة بسبب قطع التدفئة المركزية في فصل الصيف، وميزانية ضئيلة لوجبات طعام بسيطة، كلها خطوات يمليها الاقتصاد. يجب ان تضاعف مساهمتها المادية او ان تصر على انتقالها الى شقة أصغر سيّما ان سيمون سيأتي بأناس آخرين لحراسة البيت. كيف يمكنهما ان تستمرا في العيش هنا وان تحتفظا بالسيارة الصغيرة وهما عاجزتان عن تسديد النفقات؟ قسا قلبها فجأة فقررت ان تحدث امها لدى رجوعها كي تجريا تقييماً صادقاً لوضعهما المادي قبل ان تتورطا في أزمة مالية محتملة.

وسرعان ما عادت مونيكا فغمرها ارتياح كبير حين رأت امها تنزع معطفها الصيفي وهتفت:

ـ اوه، كم أنا مسرورة لعودتك.

استدارت مونيكا بسرعة وأخذت تتفحص ابنتها فلحظت وجهها الشاحب وعينيها المتسعتين من شدة التوتر. سألتها نافذة الصبر:

ـ ما كان يجب ان تقلقي. لقد اضطررت الى الخروج في مهمة ملحة ولا أرى ما يستوجب رعبك.

ـ لم أقلق يا ماما.

ثم حاولت ليزا ان تلجم ضيقها لبينما نزعت امها قبعتها ووضعت المفاتيح في حقيبتها. احست ان مونيكا مضطربة المزاج فاعترفت قائلة:

ـ عندما جئت البيت كنت أتلهف الى التباحث معك في بعض الأخبار

الجديدة لكني لم أجدك هنا.

أجابت امها بجمود:

ـ لدي ايضا بعض الأخبار وليس فيها ما يسر القلب، لذا انصحك بالاصغاء اليها قبل ان تطلعيني على ما لديك. انه شيء لم استطع التكهن به فلا موجب لأن تظهري كل هذا الانصدام، مع انك ستلومينني لأني لم أصغ الى تحذيرك.

ـ هل أصنع قهوة أولا؟

سألت امها بصوت باهت وهي تحدق اليها وتفكر ان لا شيء يمكنه ان يبرر الشعور الرهيب الذي اجتاح قلبها. لذا حاولت كسب الوقت لعدم استطاعتها تحمّل مزيد من الانباء المثبطة لعزيمتها. لكن لا بد ان شيئاً مرعباً قد حدث لأمها حتى جعلها تتصرف هكذا.

ردت مونيكا بنزق:

ـ بالطبع لا! سأحتاج الى شيء أقوى من القهوة ان كنت تصرين على التصرف بهذا الشكل.

تبعت امها الى غرفة الاستقبال وسألتها بصوت خفيض:

ـ بأي شكل؟

سكبت مونيكا لنفسها بعض الشراب وسارت الى النافذة ثم ردّت بصوت جاف:

ـ تتصرفين وكأنك يوم الحساب. لقد اتضح لي اني واقعة تحت دين، لكن المبلغ لا يستحق هذه الجلبة. وجدت من واجبي ان أعلمك الأمر. هذا كل شيء.

تلاحقت أنفاس ليزا وهتفت منذهلة:

ـ هذا كل شيء! تقولينها ببساطة مع انك طمأنتني قبل قليل ان الخبر لا يدعو الى الخوف والقلق.

لاذت مونيكا بالصمت فأردفت ليزا تسألها بيأس:

ـ كم المبلغ بالضبط؟

ـ مئتا جنيه تقريباً.

ـ أوه! كلا!

انطرحت ليزا على احد المقاعد بعدما عجزت ساقاها عن حملها. انها لا

تملكان مئتي بنس في ما بينهما، او بالأحرى هي لا تملك هذا المبلغ.

عادت تقول بتعاسة ووجهها الفتي يتقلص خيبة:

- اواه يا ماما، كيف اوصلتنا الى هذا المغطس؟

- ارجوك يا ليزا، وفّري علي مواعظك. انك تبدين كوالدك.

- لكن بابا لم يكن يفعل ذلك!

- اني أتحدث عن والدك الحقيقي.

لا جدوى من القول انها لم تعرف والدها مطلقاً، فعندما تقع مونيكا في ورطة، فان نقمتها تجعلها تجرح مشاعر الآخرين. لكن هذه أول مرة تقع في ورطة من هذا النوع... لا بد ان هناك خطأ ما؟ يجب ان تستوضحها التفاصيل وان لا تدينها قبل ان تسمع الاثبات، وقد تكون مونيكا معذورة على شعورها بالمرارة البالغة. ترددت ليزا قليلا ثم قالت برقة:

- قد يكون من الخير ان تطلعيني على التفاصيل.

تحدثتا ساعة كاملة واتضح ان قصة مونيكا عادية نسبياً، قالت ان فاتورة ثيابها تضخمت على مر السنين اذ كانت معتادة على ارتداء الملابس الانيقة لأن سيلاس أرادها ان تبدو هكذا، وقد ظنت وقتها ان الشركة سوف تسدد الفاتورة، وعندما اكتشفت ان الشركة لن تسدد هذه الفاتورة بالذات، بدأت تراهن على مبالغ كبيرة في لعبة البريدج مع نساء لا تعرف عنهن الا القليل وكن يجنين من تلك المقامرات مبالغ مربحة. ولسوء الحظ لم تصل حذاقة مونيكا الى مستوى مهارتهن الأمر الذي جعلها تخسر باستمرار، وبدل ان تسدد دينها القديم تراكمت عليها الديون الجديدة بشكل مخيف. وأنهت القصة بقولها:

- كنت أحاول تعويض خسائري هذا العصر ولم انجح في ذلك الا جزئياً.

- ماذا قصدت بالقول انك نجحت جزئياً في استرداد الخسارة؟

أشرق وجه مونيكا قليلا انما قالت بشيء من الخجل:

- استطعت ان أبيع أربعاً من لوحاتي الصغيرة الى رجل أعرفه في شارع هاغلي. انه يدير متجراً صغيراً لبيع القطع الفنية وسبق ان تعاملت معه في الماضي. هكذا استطعت ان أسدد ديون البريدج فقط لكني استرحت منها في أي حال.

سمعت ليزا نفسها تجيب بصوت هامس وبرنة تأنيب عجزت عن كبحها:

- لكن فاتورة المخزن تحتاج الى تسديد.

ثم طرأت على ذهنها خاطرة مرعبة فاستوضحت بعصبية:

- سيمون ردفورد لا يعلم شيئاً من هذا. أليس كذلك؟

- بالطبع لا يعلم فأنا لم أره لأخبره أي شيء، مع انه قد يطلع على الحقيقة في النهاية.

همت ليزا بالاحتجاج الا ان أمها تابعت بحدة:

- اذا عرف سيتمكن من مساعدتنا بسهولة تامة وقد يفعل ذلك برضاء تام. في أي حال، سيفضل ان يسدد الفواتير على ان يعرّض سمعة العائلة لفضيحة محتملة. اذا نظرنا الى الأمور من هذه الزاوية فقد يحتم عليّ الواجب ان أخبره، اذ لا أعلم من أين سآتي بالمال لأسدد حساب المخزن.

فهتفت ليزا بالحاح يائس:

- مهما تكن الأسباب فلا يجب ان تخبريه لئلا نقع كلياً تحت رحمته. لا بد من ايجاد طريقة اخرى... ماما، هل بعت كل لوحاتك؟

- بقيت لوحتان على ما أظن. تعلمين اني لا أرسم كثيراً في موسم الشتاء بسبب البرد في الخارج كذلك لم أنتج شيئاً في الربيع. لكن ماذا سنجني من بيع لوحتين؟ وحتى لو رضي هذا التاجر ان يبتاعهما فسنظل مدينتين بما يزيد عن مئتي جنيه.

على حين غرة، بدت ليزا شديدة الحماسة وهي تقول:

- ألا ترين ما أراه يا ماما؟ ان كان هذا التاجر مقتنعاً بجودة لوحاتك فلماذا لا يقتنع بذلك ايضا اصحاب المخزن الذي ابتعت منه ثيابك؟ من المحتمل ان يأخذوا اللوحتين مقابل سداد جزء من الدين. المخازن ترضى بهذا التبادل احياناً شرط ان تكون البضاعة المعروضة ذات مستوى جيد وأنا واثقة من جودة رسمك. احدى زميلاتي في المكتب لها شقيقة تبيع نتاجها بهذه الطريقة. انها ترسم على الكتان وتصنع منه فوطاً للشاي وأغطية للطاولات وللصواني وتبيعها بأسرع مما تصنعها.

لم تظهر مونيكا اي تجاوب وقالت محدقة الى ابنتها بقنوط:

- اعرف يا حبيبتي، لكن المدينة تعج بالفنانين الهواة.

- صحيح، لكنك ذات مستوى فنّي افضل، وقد تحسن رسمك كثيراً منذ ان رسمت اللوحة المعلقة هناك.

أشارت بقلب موجوع الى اللوحة التي انتقص سيمون من قدرها ليلة أوصلها الى البيت لأول مرة.

سارت مونيكا الى مكانها ووقفت امامها تتأملها قائلة:

- رسمتها لدى مجيئي الى هنا وأصر سيلاس على الاحتفاظ بها، ربما لأنه اعجب بمشهد الجدول بشكل خاص وليس بسبب تقديره الفائق لمواهبي الفنية آنذاك.

فقالت ليزا محاولة اقناعها بنظريتها الجديدة:

- لكنه كان يستشف موهبتك دائماً. ماما، ما رأيك ان تذهبي الى المخزن وتقابلي المسؤولة في قسم مبيعات الثياب الجاهزة؟ لا موجب لأن تشرحي لها التفاصيل. أريها فقط لوحتيك لتأخذي رأيها فيهما. انا واثقة من انهم سيرحبون باجراء التبادل وقد يطلبون اليك تزويدهم بلوحات أخرى. يبدو ان الطقس الجيد سيحافظ على استقراره ويمكنك ان ترسمي يومياً. وحتى بعد ان تسددي الدين يمكنك الاستمرار في الرسم والحصول على مورد جيد من انتاجك.

هنا زالت كل مظاهر الخوف عن وجه مونيكا وقالت بلهفة:

- سأذهب فوراً لأتأكد من عدد اللوحات المتبقية لدي.

كان يوم سبت والمكتب مقفل في نهاية الاسبوع، ومع ذلك قال سيمون انه سيرسل لها فتاة من قسم الاستعلامات لتساعدها! لا بد انه لا يميز بين أيام العمل وأيام العطل اذ هو يسافر في معظم نهايات الاسبوع الى لندن متذرعاً بضرورة اشرافه على أعمال شركته هناك بسبب عدم كفاءة اخيه. فكرت بوجوم كيف ستقضي اليومين التاليين بدونه بالرغم من قناعتها بأنها يجب ان ترحب بهذه الاجازة القصيرة كي تساعد امها على حل مشكلاتها. واذا رفض المخزن ان يأخذ اللوحتين فهي لا تدري كيف ستتصرف... وحتى لو أخذهما فالمستقبل يظل قاتم الأفق. لقد انحصرت رسومات مونيكا في محيط هولوز أند وبات من رابع المستحيل بالنسبة اليها ان تعمل في أي مكان آخر. وفيما عجزت ليزا عن الاقتناع بهذا المنطق فانها اضطرت الى الاقرار بأن هناك فنانين آخرين يتعلقون ببقعة معينة يستحيل اقتلاعهم

منها أو بالأحرى تقضي الحكمة بتركهم فيها. اذن، خطط ليزا للانتقال من البيت ستبوء ثانية بالفشل! تنهدت مستسلمة وركزت تفكيرها على رفع معنويات امها. قالت وهي تحرك السكر في فنجانها:

- انا واثقة من ان تشاؤمك ليس في محله لأننا اذا خططنا بعناية فقد يكون الحظ حليفنا.

لكن مونيكا رفضت وهي تكاد تبكي، ان تذهب بمفردها الى المخزن. قبلت فقط ان تذهب مع ليزا حتى موقف السيارات الخاص بالمخزن، وشرط ان تقود ليزا السيارة ليتسنى لها ان تحمل لوحاتها بيديها خوفاً عليها من الاصابة بخدوش. قالت انها لم تجد صعوبة يوم أمس في مواجهة التاجر البسيط، اما ان تواجه اصحاب مخزن كبير في قلب المدينة فهذا يتطلب منها جرأة متناهية لا تملكها. وهكذا أوكلت لليزا المهمة بالرغم منها.

وبقلب واجف، تركت امها تنتظر في السيارة فيما دخلت هي المخزن متوجهة الى القسم المطلوب وهي تتأبط اللوحتين الملفوفتين بورق سميك. كادت ان لا تصدق حسن حظها حين قابلتها المسؤولة عن القسم ووافقت على أخذ اللوحتين بعدما تفحصتهما جيداً لبضع دقائق. بدا انها خبيرة فنية، اذ أومأت باستحسان ثم ابتسمت لليزا قائلة:

- انهما غاية في الحسن، والناس يسعون هذه الأيام الى اقتناء هذا النوع من الرسومات. ان كانت لديك لوحات اخرى فأرحب برؤيتها، لكن ينبغي ان أقيّم ثمن هاتين اللوحتين.

أكدت لها ليزا بلهفة انها ستأتيها بالمزيد بعد اسبوع او اثنين. تحاشت الدخول في التفاصيل وشعرت بفرح عارم. استدارت لتتوجه الى قسم المحاسبة فاذ بها تفاجأ برؤية لورا تنسون تقف خلفها مباشرة.

أطلقت شهقة خفيفة ورفعت أصابعها الى فمها متأخرة. ان لورا تنسون آخر شخص توقعت رؤيته هنا. كم من الوقت مضى على وقوفها خلفها؟ التعبير الشامت على وجهها الناعم أوحى بأنها سمعت قسماً من الحديث. حاولت ليزا ان تؤكد لنفسها ان الأمر لا يهم، الا ان صوتاً صغيراً في داخلها ظل يؤكد العكس. قالت لها بتهذيب لتكسر الصمت المزعج الذي امتد بينهما:

- صباح الخير يا آنسة تنسون.

ابتسمت لها الفتاة بعذوبة وأجابت بتودد حار:

ـ صباح الخير يا ليزا. ما أحلى هذه الصدفة.

ثم أشارت برأسها الى اللوحتين المسندتين الى الجدار وأردفت:

ـ أتراك تفكرين في ابتياع شيء؟

عضت ليزا شفتها بقوة اذ ثبتت ظنونها فوراً من خلال تودد الفتاة وادراكها الواضح بأن ثمة شيء غير عادي كان يدور بين ليزا والمسؤولة كما ان محاولتها الجريئة لاشباع فضولها وصلت حد الاهانة تقريباً.

وقبل ان تفكر في جواب مراوغ، هالها ان تسمع البائعة تقول بحماسة متدفقة:

ـ الآنسة لوسون جاءت تبيعنا شيئاً يا آنسة تنسون- لوحتين جذابتين رسمتهما امها. ما رأيك فيهما؟ انا اكيدة ان والدك سيوافقني رأيي في جودتهما.

في تلك اللحظة فقط، تذكرت ليزا ان السير رونالد، والد ليزا، هو المدير المسؤول في المخزن. لم تتذكر هذه الحقيقة الا الآن مع ان سيلاس ذكرها مرة امامها. قد تُعذر على نسيانها لأن السيد رونالد يملك شركات عديدة وله أسهم في عشرات الشركات الأخرى، انما لا عذر لها بأن تدع هذا التذكر ينسف رباطة جأشها فهي لم ترتكب جريمة بمجيئها الى المخزن ولا يجب ان تتأثر بتصرف لورا المتعجرف.

تفحصت لورا اللوحتين بنظرة ضجرة ثم نقلت بصرها اللامبالي الى جسد ليزا البارز الجاذبية في سروال الجينز الضيق وبلوزتها الحريرية. وافقت البائعة على جودة اللوحتين ثم اعتذرت هذه الأخيرة لتكلم زبونة جديدة فشعرت ليزا بالخيبة لاضطرارها الى البقاء مع لورا بمفردها.

احست لورا برغبة ليزا في رحيلها الا انها تباطئت لتمعن في اغاظتها. قالت متظاهرة بعدم الاهتمام وهي تركز عليها نظرة باردة وثاقبة:

ـ أعتقد ان أمي ابتاعت شيئاً خلال احدى زياراتها لهولوز أند.

ـ اجل، منذ سنوات عديدة.

تذكرت ليزا ان الليدي تنسون حملت معها لوحة بالفعل انما لا تذكر انها دفعت ثمنها آنذاك، وبلا شك دلّ ذلك على قلة ذوق نظراً الى ثروة زوجها الطائلة.

وما لبثت ان فاجأتها لورا بسؤالها التالي:

ـ هل يعلم سيمون ان أمك رسامة؟ قد استطيع اقناعه بأن يبتاع لوحة.

ـ لا تفعلي، ارجوك! أقصد...

ثم حاولت ليزا ان تلطف صوتها لتعطي انطباعاً ببرود لا تحسه بتاتاً فأكملت متعثرة:

ـ لا أحسبه سيهتم بذلك.

ركزت لورا نظرها الى وجه ليزا المتورد وقالت بتأكيد غريب:

ـ سيفعل ذلك حتماً لأنه لا يخيّب لي طلباً.

اجابت ليزا منذعرة وقد نسيت للحظة ان الأخرى تراقبها كالصقر:

ـ ان اسلوب امي لا يروقه وللأسف.

كان جوابها أقرب الى الحقيقة، وشعرت بالارتياح حين أظهرت لورا استعداداً لتصديقها اذ رفعت حاجبيها قليلا ثم قالت بلا اكتراث:

ـ حسن، كانت مجرد فكرة. وفي حال غيّرت رأيك فاعلميني ذلك لأرى ما يمكنني فعله. لقد ذهب سيمون الى لندن وأنا أشعر بشيء من الوحشة.

حاولت ليزا ان تحافظ على تهذيبها... بوسع لورا ان تتملك سيمون وتحصل على صك ملكيته، فهي اوضحت موقفها منه تماماً وسيمون بدوره لن يتوانى عن ملاقاتها في منتصف الطريق. لقد اتضح لليزا انه ليس ناسكاً... تذكرت عناقه العنيف والقوة الكامنة في ذراعيه فتأكد لها ان لورا ستكون اكثر قدرة منها على التجاوب معه.

الا ان تصورها للورا بين ذراعيه أثارت فيها ألماً كاوياً بدل عدم الاكتراث البارد الذي أملت ان تشعره.

بدا ان لورا تنتظر منها جواباً ما فقالت بلا تفكير:

ـ لا أعرف في الواقع كيف يمضي السيد ردفورد عطلته الاسبوعية. انما أعلم بالطبع انه يذهب احياناً الى لندن.

تقوست شفتا لورا ببسمة رضا عذبة وقالت:

ـ وسيعود اليها في المستقبل القريب ليستقر فيها نهائياً. انا ايضا أقضي أوقاتاً طويلة في لندن ولذا لن أندم كثيراً على فراق بيرمنغام. في أي حال أتمنى لك التوفيق في مواهبك الفنية او بالأحرى مواهب أمك، سوف أتردد على المخزن لأقف على نتائج المبيع.

ـ عن اذنك، أمي تنتظرني في السيارة، ولديّ عمل بسيط آخر يستدعي الانجاز.

ردّت الأخرى ببسمة عريضة:

ـ بالطبع. أنا سأدخل المكتب أيضاً لأرى والدي. المسكين غارق في العمل وقد وعدت بأن أوافيه لأشرب معه القهوة. يجب ان أسارع اليه والا اعتقد اني نسيت الموعد.

سارت ليزا الى نهاية القسم وبدل ان تستدير الى اليمين كما اعتزمت ان تفعل قبل بضع دقائق، استدارت الى الشمال. فكيف تقدر ان تدخل قسم المحاسبة ولورا موجودة هنا؟ لا تريد المجازفة برؤيتها ثانية وهي تتحدث الى مدير المحاسبة حول قضايا امها الخاصة، وحيث سيأكلها الفضول ويجعلها تتساءل عن السبب الذي يحدو ليزا الى بيع لوحات تخص هولوز أند، الى مخزن كبير في صباح يوم سبت!

اجتاحتها موجة رهبة باردة وهي تنتظر المصعد مع حشد من الناس. بالطبع لا يسمح لأي شخص، حتى لفتاة في مركز لورا تنسون، ان يطلع على حسابات الزبائن الخاصة في مخزن مرموق كهذا؟ ومع ذلك قد تفيض بها الحشرية فتطلب الى والدها ان يقوم ببعض التحريات الخفية... لكن هذا ايضا لا يسمح به، لأنه اذا حصل فسرعان ما سيفقد المخزن زبائنه المدينين... لكن... هل كل الزبائن، مثل امها، تكبر فواتيرهم الى حد العجز عن التسديد؟

عندما انضمت الى أمها في السيارة، ابتهجت مونيكا كثيراً بأخبار نجاحها مع المخزن. لم يبد عليها انها لاحظت صمت ليزا وخطوط الهم الخفيفة حول فمها الجذاب. نجاحها أثار فيها حماسة شديدة فراحت تثرثر على الطريق بلهفة، وتقول انها ستباشر في تهيئة أدوات الرسم لتشرع بالعمل يوم الاثنين بعد ان تبتاع ما يلزم من الأدوات الناقصة. تنهدت ليزا وفكرت ان مونيكا اشبه بطفلة من بعض النواحي، فهي اما تكون مفعمة بالحماسة والتفاؤل او مليئة باليأس القاتم وقلما تكون وسطاً بين الحالين لمدة طويلة.

صباح الاثنين استيقظت على صداع واعياء فأحست ان ليس لديها طاقة لمواجهة يوم آخر تقضيه في البيت على الأخص. وحين رنّ التلفون كادت

ان تشهق ارتياحاً لدى سماعها صوت بيل وقد خابر ليدعوها وأمها الى نزهة ريفية لبضع ساعات. وأضاف من باب المداعبة:

ـ أعدك بأن أكون مهذباً.

لم يلحظ صوتها الواهن الدال على ارهاقها- بعكس سيمون الذي يستشعر مزاجها على بعد أميال- وأكمل بيل قائلا بعد لحظة تردد:

ـ فكرت ان دعوتي لأمك ستجعلك تطمئنين اكثر الى صدق وعدي.

ـ ايها الأبله!

ضحكت وأضافت انهما ستكونان جاهزتين للذهاب خلال ساعة. تساءلت ان كان توقع منها ان تعتذر عن مرافقة مونيكا بالنيابة عنها لكن اذا كان هذا ما توقعه فليتحمل خيبته! منذ خروجها معه الى تلك السهرة، التزم بيل حدوده، لكنها لم تشأ ان تتيح له المجال ليعرض عليها الزواج مجدداً او ليقنعها بالتوسط لدى سيمون ليحصل على الترقيات التي يطمح اليها، وهكذا قطعت الحديث بعد ان شكرته بعذوبة.

وبما ان بيل لم يكن قد حدد مكان النزهة سأل مونيكا ان تختار وجهتهم. فاقترحت الذهاب الى مدينة ورشستر التي زارتها مع زوجها الراحل منذ سنوات طويلة وتود رؤيتها ثانية.

أحست ليزا ان بيل لم يتحمس للفكرة بادىء الأمر بيد انه سرعان ما عاد الى طبيعته المرحة، لاسيما ان ورشستر لا تبعد كثيراً. لقد سلكا طريق السيارات ووصلوا في موعد الغداء الى هذه المدينة العريقة المنطرحة على ضفتي السيفيرن ثاني اكبر أنهر انكلترا. كانت ليزا قد زارتها مرة من قبل بدون ان تتجول فيها وهكذا تبعت مونيكا هنا وهناك وأبهجها التعرف الى المباني القديمة والمعابد الجميلة.

بعد الغداء تقدموا نزولا الى حقول الجنجل ويساتين التفاح والكرز وهم يتبعون النيم احد اجمل الأنهر في بريطانيا. كانت المروج على ضفتيه زاهية الخضرة والتراب تشوبه احجار رملية حمراء تصبغ المياه وقت الفيضان. ثم تناولوا الشاي في قرية أبيرلي الصغيرة الواقعة وسط تلال مشجرة بكثافة. تذكرت ليزا كل هذا وفكرت كيف ان حقول التفاح والحنطة الخضراء، ومشهد أبقار هيرفورد السمينة، وهي ترعى في المروج، قد بعثا فيها شعوراً من الأمان المزيف، وأحاطاها بهالة من الحصانة الوهمية ضد وقائع الحياة

القاسية. لقد كان الريف رائعاً في ذلك العصر الصيفي، فتاقت الى كوخ صغير تحت التل، كوخ جميل منعزل يقضي فيه المرء نهايات الاسبوع مع شخص يحبه، بعيداً عن ضجيج المدينة وغبارها. ان مرور سيمون العابر في تمنياتها الحزينة هذه، بدا عرضياً محضاً اذ لا يمكن ان تقرن شخصيته بكوخ بسيط بل بقصر منيف!

وصلت المكتب فوجدت ان سيمون قد جاء صباحاً ثم ذهب، انما لم ينسى ان يترك لها قائمة طويلة من المهام اضافة الى بعض أرقام هاتفية حيث يمكنها الاتصال به اذا استدعت الحاجة ذلك. تنهدت وتساءلت كيف استطاع ان ينجز كل ذلك، اذ لا بد انه عاد من لندن في ساعة متأخرة من ليل أمس او في ساعة مبكرة من هذا الصباح، وكان برنامج اعماله، الذي دوّنته بنفسها، كافياً لأن يشغل رجلين اثنين طيلة نهاية الاسبوع، فكيف انجز كل تلك التفاصيل بمفرده؟

دخل عليها بيل بعد فترة الغذاء. رفعت بصرها متوقعة ان ترى سيمون وأحست بومضة خيبة خفيفة. كانت قد طلبت اليه ان لا يأتي في غياب سيمون الا بشأن عمل لا يحتمل التأجيل. وشعرت الآن انه لم يدخل بخصوص عمل. راقبته بقلق وهو يعبر الغرفة ووضعت اللوم على نفسها اذ اخطأت بالذهاب معه أمس. كان رفيقاً مسلياً لكن ذلك لم يضف شيئاً الى عواطفها السابقة تجاهه. كان يجب ان تدرك قبل اليوم ان بيل برايت من النوع الذي لا يحتاج الى تشجيع بل يعتقد جازماً ان من شأن الفتيات ان يتلهفن الى ملاقاته في منتصف الطريق، او في أكثر من منتصفها أحياناً.

قال مبتسماً:

- مرحباً يا حبيبتي. هل استمتعت بنزهة أمس؟

فهتفت بشيء من الضيق:

- بالطبع يا بيل. لكني أتمنى...

فقاطعها وابتسامته تزداد اتساعاً:

- اعرف، اعرف تتمنين لو اخرج من الغرفة. لكن صاحب السيادة خارج المكتب على ما أظن، وقد أردت ان أسألك شيئاً. فأين الضرر في ذلك؟

هزت رأسها باستياء. لا يعتقد بيل بوجود ضرر لكن اذا رجع سيمون

فجأة وضبطه في مكتبها فستكون النتيجة وخيمة عليهما معاً. يجب ان يدرك بيل هذه الحقيقة بدون ان تلفته اليها! لكن، أين الخطأ المميت في تصرفه؟ لم لا تضع اللوم على تصرّف سيمون الظالم، فقلة من رؤساء الشركات تتخذ هذا الموقف الصارم مع ان معظمهم لديهم حساسياتهم الخاصة تجاه بعض الأمور... لكن سيمون رجل معقول بصورة عامة... فلم يتصرف هكذا بالنسبة الى بيل؟

وسمعت بيل يقول متوسلا:

- ارجوك ان تعودي من رحلتك الذهنية لبضع ثوان فقط. جئت أطلب اليك الخروج معي غداً مساء ان كنت غير مرتبطة بموعد آخر.

- مرة أخرى؟

عادت الى أرض الواقع بارتطام وقلبها يهوي معها. لقد أملت ألا يعود الى هكذا طلب... ليس لديها حجة قوية تبرر رفضها، فقالت لتكسب الوقت:

- افضل ان تخبرني أولا عن الدواعي الى خروجنا يا بيل. فأنا لا أحب الرحلات الغامضة او الموافقة على شيء اجهله.

لاحظ تصرفها الفاتر فقال غاضباً:

- تقصدين ان تشغليني بالشرح لبينما تفكرين في حجة للرفض. اذن اعلمي ان لدي بطاقتين لمسرح شكسبير الملكي في ستراتفورد انها مسرحية باليه شوكومي! الحكاية اليابانية الشهيرة حول الجريمة والانتقام والانتحار على طريقة الهاريكيري، انها تعرض في ستراتفورد قبل عرضها في لندن، هذا ما قالته اختي وهي التي أرسلت لي البطاقتين.

- ولماذا اليك بالذات؟ لم أدر انك مولع بالباليه؟

- لست مولعاً به ايتها البلهاء، لكني اخبرت اختي الذكية في احدى المرات اني شغوف بفتاة مولعة بالباليه- ارجو ان تفهمي كلامي الذي أرجح انك لا تفهمينه- الخلاصة، انها حصلت على أربع تذاكر، لكن الزوجين الآخرين اعتذرا عن الذهاب، وهكذا خطر لها، في لحظة كرم عجيبة ان ترسلها الي لعلمها بأني شخصياً لا أحب الباليه...

- أوه، بيل!

لم تملك نفسها عن الضحك فملأت قهقهاتها الغرفة... عندما يحلو

ليبل ان يهرج فانه يتمكن من اضحاك الحجر! في لحظات كهذه تتمنى لو انها تحبه اكثر، كما لا يمكنها أبداً ان تفوّت عليها حفلة باليه. قالت بتهذيب وبشيء من الدلال:

- يسرني ان ألبي دعوتك وأشكرك على لطفك هذا، انما اعلمني متى ستمر عليّ لاستعد.

ثم أضافت بلهجة جدية:

- مع الافتراض الدائم ان لا يطلب الي رئيسي انجاز أعمال اضافية تؤخرني.

استغربت ان بيل لم يجبها فوراً كعادته. مرت لحظة صمت شعرت ليزا في خلالها ان بيل يعي شيئاً لا تعيه هي. استدارت مذعورة العينين لتجد سيمون يقف وراءها مباشرة وهو يتأملها بعينين ضيقتين. منذ متى وهو يقف هنا يراقب ويصغي؟ ليس اكثر من لحظة حتماً. لم تسمعه يدخل ولم يكن حدسها قوياً لينذرها بقدومه. في تلك البرهة القصيرة من الزمن تذكرت حادثة اخرى مماثلة، فبهذه الطريقة ذاتها تعرفت اليه لأول مرة، والآن تكلم ايضا قبلها... لكنه لم يوجه حديثه اليها بل أدار ظهره ببرود وكأنها غير موجودة بالمرة. وما قاله ليبل اثبت انه قد سمع جزءاً من حديثها معه. قال للشاب بصوت سلس خفيض:

- آسف جداً يا سيد برايت، فالآنسة لوسون لن تتمكن من قبول دعوتك قبل ان تراجع جدول أعمالنا الاسبوعي. وهي، بصفتها سكرتيرتي وابنة خالي، كان يجب ان تتعقل وتأخذ هذا الواقع بعين الاعتبار.

٧ ـ معظم الرجال يلاحظون مظهر المرأة، قلة منهم تظهر هذا الانتقاد الساخر. وهو اذا تزوج فسيكون من النوع الذي يوقظ زوجته لينتقد أنفها. وحين التفتت بسرعة الى جسمه المتين فكرت فوراً انه إذا أوقظ زوجته في ساعة كتلك فليس ليتحدث عن انفها مهما كان جذاباً...

أول ما صدم ليزا الطريقة التي ترنح بها قلبها لدى رؤيتها المفاجئة لسيمون مع انه لم يغب اكثر من يومين، ثم صدمها امتعاضه الشديد من وجود بيل في مكتبها، سيما وانها اعتبرته قبل دقائق فقط، رجلاً عاقلاً! كانت تجد دائماً تبريرات معينة لتصرفاته. انما كان هناك شيء ما استعصى على فهمها هذه المرة ومع ذلك عزت مسلكه الى الارهاق وقد اراحها هذا التبرير البسيط فتشبثت به ورفضت الاقرار بأي استنتاج آخر.

شيئاً في تصرفه وفي نظرته التقييمية الثاقبة جعلها تتجمد امامه في صمت مذنب ومراهقي اثار غضبها لكنها عجزت عن كسر جموده.

ثم تكلم بيل بعد لحظة خالتها هي دهراً، وقال له مبتسماً:

- آسف يا سيدي. كنا نتحدث معاً في انتظار عودتك فهناك شيء اود

التحدث به معك .

- أحقاً ؟ انك لست معتاداً على استشارتي في مشكلاتك . في اي حال ، سأراك في وقت لاحق ، الا اذا كان الأمر ملحاً .

تراجع بيل الى الوراء وقد خبت ابتسامته وبانت الحيرة في عينيه . قال مغمغماً :

- ليس امراً مهماً ، وبوسعي ان اراك في وقت لاحق كما تقول .

تمتمت ليزا بيأس . لو انه يظهر شجاعة اكبر ! انه لا يجرؤ على التلفظ بكلمة لحرصه على نيل الترقية . ولدى مغادرته الغرفة قذفها بنظرة عَنَتْ ولا شك انه سيتصل بها قريباً .

وما ان اغلق الباب خلفه حتى قال سيمون بصرامة :

- تعالي الى مكتبي يا ليزا . اريد التحدث معك .

تعمدت الابطاء وهي تقوم بالاستعدادات اللازمة . عاودتها شجاعتها ومع ذلك تفادت النظر الى عينيه واختلج فمها قليلاً بفعل التوتر السابق .

وراحت هي تعبث في الدرج كي تضيع الوقت . فقال ملتفتاً اليها بحدة :

- الم اطلب اليك الا تسرحي شعرك بهذه الطريقة ؟

الا يخطر له أن للآخرين ايضاً مشاكلهم الشخصية ؟ لا ريب ان معظم الرجال يلاحظون مظهر المرأة الا ان قلة منهم تظهر هذا الانتقاد الساخر . سيمون ردفورد يختلف عنهم حتماً ، وهو اذا تزوج ، فسيكون من النوع الذي يوقظ زوجته في منتصف الليل لينتقد انفها اللماع ! وبدل ان تطرب لسخريتها الخاصة احست بتقلص في اعصابها حين التفتت بسرعة الى جسمه المتين ، فكرت فوراً ، انه اذا ايقظ زوجته في ساعة كتلك فليس ليتحدث عن انفها مهما كان جذاباً !

انتظر حتى مرت من امامه ثم اغلق الباب بلطف . هذه الحركة الهادئة كان يجب أن تنذرها بأن مزاجه ما يزال سيئاً لكن موجة الغضب المحضة التي كانت تمتطيها حالت دون ذلك . ازاح لها كرسياً ولم ينتظر جلوسها ، ثم طقطق كرسيه برهبة حين القى ثقله عليه . قال :

- اليوم تناولت الغداء مع فتاة تدعى لورا تنسون . اعتقد انك تعرفينها ؟

- لورا تنسون !

ابتلعت ريقها الجاف وسحبت يديها من على المكتب لتضغط بهما على معدتها . لقد توقعت حصول شيء كهذا انما ليس بهذه السرعة وليس بهذه الطريقة المفاجئة التي لم تتح لها اية فرصة لتعزز خط دفاعها . اومأت بصمت ولم تستطع ازاحة بصرها المأسور في عينيه البراقتين . اما هو فتابع يقول بقسوة :

- اخبرتني انك كنت تعرضين لوحات للبيع في متجر والدها صباح يوم السبت . لم اشأ ان اصدقها . لكني اطلب اليك الآن ان توضحي لي الحقيقة ؟

تشبثت بشرارة الغضب التي اندلعت فيها فجأة وقالت حانقة :

- لم اكن اعرض لوحات للبيع ولا يحق للورا تنسون ان تقول لك ذلك ، كان يجب أن ادرك انها ستركض اليك بالخبر لكونها واحدة من صديقاتك الحميمات !

- اخرسي ! تذكري انك مجرد سكريترة لي وهذا لا يخوّلك انتقاد اصدقائي !

اجابت بتعثر وشبه اختناق :

- لكنك تعطيها الحق بأن تنتقد اصدقاءك ! الا اعتبر ابنة خالك ؟

- من المفروض ان تكوني قريبتي . . . اجل ، هذه حجة جيدة وسأدخل في تفاصيلها عندما اجد الوقت للقيام بتحريات كاملة حولها . لم تقصد الآنسة تنسون ان تنتقدك شخصياً . قالت فقط انها سرت لرؤيتك وأعربت عن املها في أن تتكلل مهمتك بالنجاح . انما اريدك الآن يا عزيزتي ليزا أن تطلعيني على حقيقة القصة .

- لا يجب ان تصغي باهتمام الى كل ما تسمعه . لقد تدخلت لورا بما لا يعنيها .

- لا تدخلي لورا تنسون في الموضوع !

- اخبرتني انها تشعر بالوحدة لأنك سافرت الى لندن .

- ليزا ، هل لك ان تصمتي ؟ لست مهتماً بما قالته .

- بل يهمك ذلك فانت تردد أقوالها عني وتقذفني بها عمداً .

وعلى حين غرة ، اظلمت السماء في الخارج وتبع ذلك قصف رعد

قوي . حتى هذه اللحظة كانت الحرارة خانقة منذ الصباح وحين التفتت صوب النافذة رأت قطرات المطر الأولى تضرب الزجاج . قريباً ستتحول الى سيل جارف يرافقه مزيد من الرعد . اجتاحت جسمها النحيل رجفة تلقائية . انها لا تخاف العواصف الا اذا رافقها برق ورعد ، لكن ما يخيفها اكثر هو احتمال ان يكتشف سيمون ما تعانيه من خوف داخلي مزلزل . وفي محاولة منها لضبط اعصابها قلصت يديها على حافة المكتب فابيضت مفاصل اصابعها لفرط المحاولة .

حدق سيمون في يديها المتقلصتين انما اخطأ في تفسير السبب اذ عاد يرمق وجهها ويقول :

ـ لقد توسلت البائعة أن تأخذ تلك اللوحات . هل تتكرين ذلك ؟

ـ ما كانت لتأخذهما لو لم تتأكد من جودتهما . ثق اني لم اضطر الى التوسل .

ـ ليس هذا المهم . تهمني خلاصة الموضوع وهي انك في ضيق مالي .

ـ كلا ، لست كذلك .

ـ بل ستقبلين بزيادة الراتب !

تأججت عيناه الداكنتان ورن صوته كالفولاذ في ارجاء المكتب متناغماً مع هدير العاصفة في الخارج .

كان الرعد يقصف من بعيد ثم اجفلت ليزا حين لمعت السماء فوق البناية . يجب أن تهرب قبل أن تشتد العاصفة ويفتضح امرها .

ـ هل انت خائفة ؟

توردت خجلاً من جبنها ومن نظرته المتمعنة . اجابته وهي تتنفس عميقاً وتحاول التحكم بأعصابها :

ـ بالطبع ، لست خائفة .

ـ اذن لنعد الى قضية الراتب .

ـ لا اريد مطلق زيادة يا سيمون . امي فنانة موهوبة وهي ترسم منذ سنوات وتبيع لوحاتها . فكرنا في المخزن كسوق جديد وليس في ذلك ما يدعو الى الخجل .

ـ احس بوجود لغز ما واعتزم التوصل الى حله . فحدسي لا يخيب ابداً يا عزيزتي ليزا . . . اذا ارادت سيدة ما ان تبيع شيئاً برضائها التام فهي

تبيعه بنفسها بدل ان ترسل ابنتها الصغيرة لتقوم بالمهمة عنها .

ـ انا لست بنتاً صغيرة .

ـ ألم يترك لها سيلاس مالاً على الاطلاق ؟ لم يوصِ لها بشيء في وصيته انما كان بامكانه ان يؤمنها بطريقة اخرى .

ـ قلت قبلاً انه لم يترك شيئاً .

ـ اخبرتني انه لم يكن يدفع لك زيادة الراتب على حدة ، انما لم اذكر وضع امك .

قطبت محتارة وعجزت عن تذكر ما قالته له بالضبط . يا له من ثعلب ! اجابته بضيق وجمود :

ـ لا ارى اية فائدة من هذا النقاش يا سيمون . ليس هناك ما يدعوك الى الاهتمام بشؤون امي . لقد تحدثنا قبلاً عن الوصية ، ويبدو انك تريد الآن أن تعرف اذا كنا قد اقتنصنا مالاً بطرق اخرى .

ـ ان محاولة مساعدتك اشبه بضرب الرأس على جدار حجري . انما سأقول ما يلي ، ان ارادت امك ان تبيع شيئاً في المستقبل فلن امانع بتاتاً في ذلك ، لكني سأمنعك انت ، يا عزيزتي ليزا . اجل ، سأمنعك .

لمست في كلماته بعض الوحشية الخفية فحدقت اليه مرتعشة حائرة ثم وعت مقصده فاحمرت وجنتاها وهبت واقفة وهي تهتف بانفعال :

ـ لا يحق لك ان تصدر الي أوامرك ! ان سمعة الشركة لا تتوقف على طريقة تصرفي ، وأنا لست طفلة لتتملقني تارة ولتؤنبني تارة اخرى !

عجزت عن احتمال نظرته المركزة فقالت باختناق :

ـ اني ذاهبة . لقد تأخرت كثيراً عن موعد الانصراف .

لم تعِ ان سيمون قد دار وراء مكتبه وتقدم منها الا حين شعرت بيديه تمسكان كتفيها وتجذبانها اليه مما اضطرها الى اخفاء وجهها على صدره . قال لها بصوت متهكم ورقيق في آن :

ـ اذن انت خائفة ! لم يخطر لي ذلك لكونك مخلوقة استقلالية الى حد بعيد .

استمرت العاصفة تولول خارج الغرفة وتحيل الطقس الصيفي مناخاً شتوياً بالرغم من استمرار الحرارة . ارتجفت بين ذراعيه وقد بدأت تحس بها حولها انما لازمها الرعب بسبب البرق المتواصل . ثم شعرت بيده

تلامس قفا عنقها ، وسرت فيها موجات متلاحقة من الاثارة حين افلت شعرها المعقوص بأصابع خبيرة فانسدلت دفقاته الحريرية على كتفيها .

ازاح الخصلات الكثة عن جبينها وقال مهدئاً روعها :

ـ قد يساعد ارخاء شعرك في تخفيف توترك . حاولي ان تسترخي لتشعري بتحسن .

ـ افلتني ، ارجوك . لا موجب لأن تحتضنني .

ادركت من خلال رعبها ان عليها أن تقاومه اذ حذرتها غريزة ما بانه لا يقل خطراً عن العاصفة . . . لا تبغي التورط معه مهما كانت النتيجة مغرية لأن اي هناء موقت قد تحسه بين ذراعيه سيؤدي بها الى الشقاء ، لكن ما اصعب مقاومته فهو يمتلك جاذبية عجيبة ترغمها على التجاوب .

ـ لا تتحركي . انت شابة غريبة يا ليزا اذ تدفعينني اما الى معانقتك او الى ضربك كطفلة عنيدة . اي من الطريقتين تفضلين ؟

ـ لا هذه ولا تلك .

اخذت العروق في عنقها تنبض بجنون فحاولت الافلات منه . دوى الرعد قاصفاً فشعرت ان سيمون اشد خطورة منه ، ولحظتها تحركت الغيوم السوداء خلف النافذة سارقة من شجاعتها الكثير فتمسكت اصابعها تلقائياً بياقة سترته ، فقال بهدوء :

ـ هناك خيار ثالث قد تتقبلينه . سآتيك بشراب .

ـ كلا . كلا .

اخذ قلبها يخفق كطائر اسير بين ضلوعها . هناك شيء واحد تتوق اليه ، حنينها الجارف والذي يجب أن يمر بسلام قبل أن يفطن اليه . كانت مسحوقة بين ذراعيه وتشعر بأمان غريب من غضب العاصفة الخارجية انما تحس ايضاً انها معرضة للعطب بفعل رغباتها الداخلية .

ـ تحتاجين الى ترياق يا عزيزتي ليزا . انا احاول ان اكون لطيفاً . إلا إنك لا تتركين لي الخيار . انه لاغراء شديد الوطأة على مطلق رجل لكنك لا تتجاوبين مع الأساليب اللطيفة ، إذن سأختار الأساليب العنيفة .

ادار وجهها صوبه ثم عانقها مجدداً .

وسرعان ما أبعدها عنه قليلاً ليتأمل ردود فعلها وليلفتها الى نتائج اثارتها له بهذه الطريقة . تقلصت يداه على ذراعيها وقال هامساً :

ـ هل سبق واقمت علاقة مع رجل يا ليزا ؟ يمكنني ان احزر اشياء كثيرة عنك انما يستعصي علي فهمك من نواح كثيرة .

ـ ان كنت قمت بأبحاثك كما يجب فحري بك ان تجيب نفسك على السؤال .

ـ يفترض من السكرتيرة الماهرة ان تزود رئيسها بكل المعلومات .

قالت وهي تهز رأسها بعناد وتحاول السيطرة على اعصابها :

ـ احياناً لا ترغب في ذلك .

ـ لقد اخفقت في اختيار الزمان والمكان المناسبين . لا بد اني بدأت افقد مهارتي . في المرة المقبلة لن اقع في هذا الخطأ . انا واثق من شيء واحد ، هو انك لا تنفرين مني يا ليزا .

اجفلت اذ استطاع بهذه الكلمات ان ينتشلها من جمودها . رأت في عينيه نظرة عميقة القرار حركت خفقات قلبها وأثارت في اعماقها خوفاً غريباً . يبدو انه توصل الى استنتاجاته الخاصة بالنسبة الى خبراتها العاطفية السابقة . ارتعدت برداً بالرغم من حرارة الجو وحرارة قلبها . اذا عاد القرار اليها فلن تكون هناك مرة اخرى . . . نواياه واضحة ، بل هي واضحة منذ البداية وهي الملومة لأنها عميت عنها . . . انه جذاب ايضاً الى حد الخطر وواثق بالتالي من الوصول الى غاياته . هل كان هذا ما يقصده عندما تحدث عن الاتفاقات ؟

كم يخيفها سحره هذا لأن تعقلها يخونها حالما تصبح بين ذراعيه . . . قبل أن يتمكن من ايجاد فرصة اخرى عليها ان تجد طريقة لترك الشركة نهائياً . . . في الوقت الحاضر ، قد يكون من الأفضل ان لا تفعل شيئاً من شأنه أن يثير شكوكه .

انسحبت باحتراس من بين ذراعيه ونظرت صوب النافذة . ثم اغتصبت ضحكة قصيرة وقالت :

ـ لقد هدأت العاصفة . قد تنجح الأساليب العنيفة فعلاً ، اما الآن فعلي أن اعود الى بيتي .

ـ لدي موعد عشاء لكني سأتمكن من ايصالك . لا اريدك ان تتعرضي للبلل .

لم يكلمها سيمون كثيراً بعد مغادرتها المكتب ، ربما لانشغال ذهنه بموعد

العشاء . هي ايضاً لاذت بالصمت لفرط توترها واحساسها بالشقاء . عذبها شعور معين بأن سيمون قد بدأ يغزو مشاعرها بشكل لا يروقها . اذا لم يكن لها مفر من الوقوع في الحب ، فلماذا لا تتعقل وتحب ، على الأقل ، شاباً غير معقد على غرار بيل برايت ؟ لكن عناق بيل لم يثر فيها أياً من الأحاسيس التي يثيرها سيمون . . . قطبت محتارة وهي تعبر الدرب بسرعة . . . كيف بلغ بها الحمق الى حد اختيار الرجل غير الملائم لها بتاتاً ؟ لقد وجدت في سيمون ردفورد ملاذاً أميناً لكنه قد يكون اشد فتكاً من العاصفة بل قد يكون اعصاراً لا يقاوم من شأنه أن يقتلع قلب أي فتاة بقوة وقسوة .

وصلت البيت فلم تجد امها هناك . وما ان نزعت معطفها وقبعتها حتى رن الهاتف فالتقطت السماعة بشيء من الشرود وقالت « آلو ، بيل ... كنت في طريقي الى البيت . تأخرت بسبب المطر . ان كنت تخابر بشأن السهرة غداً فسأذهب معك . اما الآن فيجب ان اتناول شيئاً من الطعام .

أقفلت الخط بسرعة ثم وقفت تحدق الى السماعة وهي تحاول ان تتذكر ما قاله سيمون بالضبط عندما نزلت من سيارته . . . لقد قال « ان كنت ستخرجين مع بيل مساء غد فليكن ذلك للمرة الاخيرة ، اذ لا احب ان يشاركني احد سكرتيرتي مثلما لا احب ان يشاركني احد صديقاتي الحميمات » .

هزت كتفيها بلا اكتراث وركضت الى الطابق العلوي .

رأت مونيكا تقف في الردهة وهي ترتدي مريول الرسم الملطخ بالدهان . بدت اسعد حالاً بالرغم من شرودها البسيط ، فتساءلت ليزا في نفسها ، كيف ستتصرف عندما تنقل اليها وجهة نظر سيمون حول بيع اللوحات للمخازن التجارية ؟ قالت لها مونيكا :

ـ تلقيت اليوم رسالة من اوستراليا . . .

وهنا اخرجت مونيكا رسالة رقيقة من جيبها وقالت :

ـ انها من عمتك . استغرب ان تكتب الي بعد مرور هذه السنوات ، ويبدو ان رسالتها طافت نصف ارجاء البلد قبل أن تصلني . انها حائرة في امرها وتسألني رأيي ، هل اذهب انا لزيارتها أم تأتي هي بنفسها . اني اعرف عمتك جيداً ، وهي ، على الأرجح ، ارادت التأكد من وجودي

على قيد الحياة ، قبل أن تشد رحالها الى انكلترا .

ـ لكنكما لم تريا بعضكما منذ امد طويل . الا تظنين ان الوقت قد فات على استجماع الخيوط من جديد ؟

ـ لست ادري . كنا في الواقع ننسجم مع بعضنا بعضاً وهي كانت اول المشجعين لي على تجربة الرسم . كانت تعتقد اني موهوبة اضافة الى مناخ اوستراليا الجميل . اذكر انها وقعت في حب رجل يكبرها سناً وعندما فشلت في حبها ، رحلت الى احدى المناطق النائية حيث تسلمت وظيفة تعليمية . . . حسبما اذكر ، وبقيت هناك .

ـ هل كان والدي شقيقها الوحيد ؟

ـ اجل ، عندما توفي اعلمتها ذلك في رسالة اجابتني عليها ، ولما تزوجت ثانية اعلمتها ذلك ايضاً وأرسلت لها عنواني الا انها انقطعت عن مراسلتي . كان يجب ان احاول الاتصال بها مرة اخرى ، لكني انشغلت بسعادتي آنذاك وبقيت لأجل مراسلتها الى ان نسيتها كلياً .

ـ اذن لم تريها منذ سنوات بعيدة ؟

ـ منذ عشرين سنة تقريباً . كنت انت في الثالثة عندما رجعنا ، وقبل ذلك بسنتين كانت هي قد غادرت المدينة .

قرأت ليزا الرسالة وأعادتها الى امها سائلة اياها بفضول :

ـ اتودين العودة الى اوستراليا ؟

صعب على ليزا ان تشعر بأي لهفة تجاه عمتها التي لا تعرفها وكثير من الناس قد يستغرب موقفها هذا . ربما تشعر هكذا لأنها غارقة في مشكلاتها الخاصة في الوقت الحاضر . . . فمنذ أن جاء سيمون الى بيرمنغام ما عادت تستطيع التفكير في أي شيء آخر ، وقد يثبت هذا انها باتت تهمل امها في الآونة الأخيرة . . . وخزها ضميرها فأردفت تقول بلهفة :

ـ قد يفيدك ان تسافري في اجازة .

ـ اشك في استطاعتي ذلك . احب بالطبع ان ارى عمتك ، كما ان رسالتها دلالة على شوقها الي ، لكن من اين احصل على ثمن التذكرة ؟ لا استطيع كذلك ان ادعوها لأن اكرامها سيتطلب مالاً لا املكه .

تنهدت ليزا بكدر وتبعت امها الى المطبخ . لقد نسيت وضعها المتأزم في غمرة اهتمامها بارضاء مونيكا ، وهذه الرحلة تكلف غالياً الا اذا سافر المرء

عن طريق السباحة ! ابتسمت وقالت بخفة :

ـ لم لا ندعوها الى هنا ؟ نستطيع ان نتدبر الامور بشكل ما .

ـ عزيزتي ليزا ، متى ستفكرين بعقلك ؟ اذا جاءت هنا فسوف يكتشف سيمون انك لست ابنة خاله الحقيقية ، وقد يبادر بالتالي الى طردنا من البيت ، وبدون هذا البيت لن نتمكن من استقبال احد وعلى الأخص زائرة من اوستراليا .

ـ اذا استطعنا ان نسدد دين المخزن وان نجد مسكناً آخر فلا يعود مهما سواء اكتشف سيمون الحقيقة ام لم يكتشفها !

ـ لا يمكننا ان نسدد الدين بسرعة ، فاليوم فقط بدأت رسم لوحة جديدة .

ـ اذا استطعت ان تجدي عملاً لفترة مؤقتة فلربما ساعدنا ذلك على ايفاء الديون بسرعة ؟ ثم ان راتبينا مجتمعين قد يمكناننا من دفع القسط الأول لثمن بيت صغير يغنينا عن السكن في بيوت الآخرين .

ثم اضافت بابتسامة خفيفة :

ـ قد تستطيعين ايضاً ان تسافري الى اوستراليا .

ـ لقد تكلمنا كثيراً في هذا الموضوع من قبل . تعلمين اني لا انجح في الأعمال الخارجية فليست لدي اية خبرة محددة وسوف يستحيل علي البدء في عمل اجهله . الا اذا كنت تتوقعين مني ان اعمل في المخزن لبينما اسدد الدين لاصحابه ؟

ـ بالطبع لم اقصد ذلك يا ماما . انسي الموضوع !

ـ اضافة الى ذلك انا احب مهنة الرسم ولا بد ان تربحني مادياً في يوم ما .

ـ الا ترين يا ماما انه يتوجب علينا الاحتراس طالما ان لورا تنسون مهتمة بالموضوع ؟

ـ لم تذكري من قبل انك رأيتها هناك .

ـ آسفة كان يجب ان افعل انما خشيت ان اقلقك . الفكرة جاءت مني في الأساس ولم يخطر لي مطلقاً انها ستذكر الأمر لسيمون .

ـ هناك اناس يعجزون عن ضبط السنتهم . انما لا افهم اضطرار فتاة مثل لورا الى الاهتمام بما نفعله ، فرونالد تنسون مليونير تقريباً .

ثم رمقت ابنتها بنظرة سريعة وقالت باهتمام :

ـ اذا شئت ، سآخذ اللوحة التالية بنفسي . لن اطلب اليك الا ان تسوي الامور عني في قسم المحاسبة .

٨ ـ بادلته تحديقه البارد بنظرة غاضبة من عينيها المتسعتين وأحست للمرة الثانية انها معلقة في الفضاء وانها ليست سوى مخلوقة صغيرة تقاوم بوهن لتتخلص من نظرة وحش شرهة قد تلتهمها في اية لحظة .

ذلك المساء ، وإذ كانت ليزا على وشك أن تغفو ، أطلت مونيكا من باب غرفتها لتقول :

ـ قبل لحظة خابرني سيمون على الهاتف وطلب رؤيتي في الصباح لأمر لم يذكره . قال انه سيوصلك الى المكتب اذ من السخف ان تستقلي الباص ما دام سيذهب بنفسه الى المدينة مباشرة . اني اتساءل عما يريده مني ، ولا ريب انه امر بسيط .

استغربت ان يصل سيمون في وقت مبكر جداً من صباح اليوم التالي . كانت امها ما تزال نائمة ، وهي هبطت الى المطبخ مثقلة العينين لتصنع فنجاناً من الشاي يساعدها على الاستيقاظ كلياً . فتحت له الباب فقال وهو يتأمل بنظرة ملتمعة محياها الناعس وخديها الموردين كزهرة مشوشة :

ـ يروقني دائماً ان ارى شكل الناس فور استيقاظهم من النوم . ألن تدعيني الى الدخول ؟

ـ رجاء ان تتفضل .

تقبل دعوتها الجامدة بنظرة لطيفة ودخل الردهة . هذا الصباح تفوح منه رائحة نظيفة من بودرة الجسم وعطر ما بعد الحلاقة . هذا ما توصلت اليه ليزا حين هاجم حواسها ذلك العبق الجذاب المختلط برائحة العطور وجعلها تشدد قبضتها على حافة الباب .

استدار منتظراً تحركها وقال وعيناه تراقبان اصابعها المتقلصة :

ـ لا بد ان زياراتي المفاجئة لك على باب بيتك تبدو لك عادة سيئة ، فعندما جئت قبلاً وجدتك تقفزين حافية القدمين كظبية مذعورة ، لكن ثقي اني جئت بنية شريفة هذا الصباح . ولا اريدك ان تنزعجي من قدومي بأي شكل .

هنا تملكتها رغبة بدائية عابرة في أن تصفعه . بوسعه ، حين يشاء ان يلجأ الى اسلوب راق يجرحها في الصميم ، وان يتهكم بقسوة من خلال نظرة أو عبارة فيحطم بذلك رباطة جأشها الهشة . اغضبها تحديقه السليط فأغلقت الباب بصفقة عنيفة لتشعره بتمردها . ثم قالت بتهذيب مناقض لتعبير وجهها المربد :

ـ ربما تود ان تشاركني في شرب الشاي ؟

كان وجهه الأسمر مفعماً بالتلذذ الساخر وقد اكدت لها نبرته انه ينظر بعين الازدراء الى روبها الأزرق القطني المخطط . فقالت له :

ـ ما دام مظهري لا يروقك فسوف اصعد وارتدي ثيابي . عن اذنك ، امي ستكون هنا في اية لحظة .

كادت مونيكا ان ترتطم بها بالفعل لدى خروجها النزق من المطبخ . كانت امها مثال الذوق والأناقة في ثوب من الكتان الأزرق الفاتح ، وكل خصلة من شعرها الرمادي مصففة بجمال وترتيب . وفيما ركضت ليزا الى الطابق العلوي اشرق الصباح بالنور حيث انسكب على وجهها المتورد وامتزج بألق عينيها اللتين عكستا بعض الحسد من مظهر امها الفائق الأناقة . . . لا يمكنها ابداً ان تنافس مونيكا في هذا المضمار ، فهي ما تزال تحب أن تركض حافية على المرج الأخضر وتترك شعرها يطير في الهواء

كالعصفور . . . فكرت في نفسها وهي تنزع الروب بسرعة وتحدق الى صورتها في المرآة ، ربما هي تشبه عائلة والدها الأوسترالية وقد ورثت عنها تصرفاتها العفوية مع الجنس الآخر وهذه النزعة الاندفاعية التي تغيظ سيمون في معظم الأحيان . من اليوم فصاعداً عليها ان تحاول الابتعاد عن طريقه حين لا تكون على المستوى المطلوب من الأناقة والترتيب كي لا تعرض نفسها لانتقاده مرة اخرى .

في السيارة ، وفي الطريق الى عملها ، سألته :

ـ كنت تفكر في افتتاح مكتب في وسط المدينة ، هل تعتزم تنفيذ الفكرة ؟

اجابها بهدوء ويتكاسل ناقضته حركة اصابعه العصبية :

ـ تلك الفكرة مؤجلة نظراً الى بعض الاعتبارات .

ـ ماذا تعني ؟

ـ هذا تعبيرك الدائم ، اليس كذلك يا ليزا ؟ الا يمكنك ابداً ان تقرأي ما بين السطور ؟ بصراحة تامة ، اقصد اننا سنبقى حيث نحن لبينما اعين مديراً عاماً ولبينما تعود الآنسة براون من رحلتها .

ربما هي تستحق هذه الضربة على يدها كطفلة مذنبة ولكن لا يكف عن مضايقتها بتعليقاته اللاذعة الغامضة . كيف يقدر ان يتغير ، ما بين لحظة واخرى ، من الرقة والحنان والحماية الى التأنيب والاقحام بدون أن يطرف له جفن ؟ وها هو الآن يضيف ببرود :

ـ لا احسبك تسعين الى الاطراء في باكورة الصباح يا ليزا ؟

اجابته بجفاء :

ـ ثق اني لا اطلبه منك بتاتاً . في الاسبوع الماضي تلقيت بطاقة بريدية من الآنسة براون قالت فيها ان اختها تتحسن . وهكذا فقد لا تتأخر في العودة كما تظن .

احست برغبة في معاكسته فأصرت على متابعة الموضوع :

ـ اعتقد انك قد ترجع الى لندن في نهاية المطاف .

اجابها وهو يطلق تنهداً قصيراً لا يخلو من الضيق :

ـ قد افعل ، انما ليس في الوقت الحاضر . يبدو ان الامور تجري على ما يرام في لندن وكأن غيابي قد زود اخي بالحافز المطلوب على العمل . انه

يتقدم في كل المجالات ولا اريد ان أعرقل تقدمه سيما ان المشاغل الكثيرة هنا تتطلب وجودي ، اضافة الى ذلك ، لدي مدير اعمال ممتاز في لندن ، كما اخبرتك سابقاً .

بادلته تحديقه البارد بنظرة غاضبة من عينيها المتسعتين وأحست للمرة الثانية انها معلقة في الفضاء وانها ليست سوى مخلوقة صغيرة تقاوم بوهن لتتخلص من نظرة وحش شرهة قد تلتهمها في اية لحظة .

لكن تحرك السير انقذها مؤقتاً من ورطتها اذ ازاح بصره عنها وقال بلهجة آمرة :

ـ كفي عن الكلام . تصرفي كبنت مطيعة .

تحركت السيارة الى الأمام مدفوعة بقوتها الذاتية وبقوة الرجل الذي يقودها . لقد خاطبها كما لو انها طفلة فقبعت حيث هي وامتثلت لأمره .

لدى عودتها الى البيت مساء اخبرتها مونيكا ان سيمون قد طلب موافقتها على أن تقيم له سلسلة من حفلات العشاء ، وأردفت موضحة :

ـ لقد مل تناول العشاء في الفنادق وشقته صغيرة لا تتسع لاقامة الحفلات . اصبح لديه الكثير من المعارف ويرغب في توطيد علاقته بهم ، وهكذا طلب مساعدتي في هذا المجال .

ـ اتقصدين بدعوة الناس الى هنا ؟ لا ارى كيف ستساعدينه بذلك .

ـ انك تخلطين الامور وهذه عادتك يا ليزا . من المهم للشركة أن يتعرف سيمون بأسرع ما يمكن الى رجال الأعمال المحليين والى المنطقة ، ومن الصعب عليه أن يفعل ذلك في فندق .

قطبت ليزا اذ داخلها ارتياب مفاجيء . هل هذا ما قصده بالقول انه يريد التوصل الى معرفة طريقه ؟ انه لا يعتزم حتماً ان يستعمل امها كأداة للكشف عن هوية العابثين بدفاتر الشركة ، وقد لا يتجاوز مبلغ الاختلاسات بضعة جنيهات تافهة ؟ انها متأكدة أن مونيكا ليست لديها اية فكرة عن حقيقة الوضع ، إذاً فأية متعة ستُجنى من الاحتفاء بأصدقاء قدامى وفي هذه الظروف ؟ لا ريب ان الضيوف سيكونون اصدقاء سيلاس القدامى لأنه سيسهل على سيمون الماكر ، في هذه الحالة ، أن يحصل من مونيكا على قائمة كاملة بأسماء رجال الأعمال الذين كانوا يترددون باستمرار على منزل سيلاس . لا حيلة لها في معارضة الاقتراح كما أن حدسها لن

يكفي وحده لاقناع امها بالتراجع ، فنظرة واحدة الى وجه مونيكا المشرق تثبت ترحيبها بالفكرة اضافة الى ان قيامها بعمل كهذا سيشعرها مجدداً بحاجة الآخرين اليها وسيعيد اليها بعضاً من اهميتها السابقة .

وهنا تذكرت ليزا وضعها المادي المتأزم فقالت على الفور :

ـ ماما ، هل خطر لك أن تفكري في النفقات ؟ لا يمكننا أن نقيم حفلات عشاء كما في الماضي . لا ريب انك شرحت له ذلك ؟

فقذفتها مونيكا بنظرة صاعقة وقالت :

ـ لم اجد داعياً للتفسير يا حبيبتي فسيمون ردفورد رجل واسع الخبرة وليس غبياً . انه يعرف جيداً كم تكلف الضيافات هذه ولذا سيتكفل بجميع النفقات .

حدقت اليها ليزا منذهلة . كانتا تتناولان العشاء في المطبخ ، وكعادتها في المدة الأخيرة لم تجد شهية الى الطعام . اجتاحت قلبها ثورة عارمة على سيمون . . . لو انه عرض عليها هذا الاقتراح قبل أن يعرضه على امها لافهمته بصراحة ان يذهبَ به الى الجحيم . ان حياتهما معقدة اصلاً ولا تحتاج الى مزيد من التعقيدات . قد لا تكون لديه دوافع خفية وراء هذه الفكرة لكنها تشك في ذلك ، فسيمون لا يقوم بأية خطوة الا بعد درس وتفكير ، وهو ليس كذلك من النوع الذي يلقي الكلام على عواهنه . انتابها ارهاق مفاجيء من مجرد التفكير في اقامة حفلة واحدة . الم يخطر لأمها ان ذلك سيزيدهما غرقاً في مستنقع المشاكل ؟ غمغمت بتوتر :

ـ اتساءل احياناً ، ايكما اكثر جنوناً من الآخر ، انت ام سيمون ردفورد ! هل درست الأمر من كل جوانبه ؟ مثلاً ، من سيطهو كل ذلك الطعام ؟

ـ الحارسان الجديدان . سيقومان بذلك لقاء سكنهما المجاني في الشقة وبرضاء تام .

حدقت ليزا بشرود الى غطاء الطاولة الأزرق . . . اذن لم يغفل سيمون عن أي شيء وسوف تضيع وقتها سدىً ان حاولت أن تعارضه .

ركزت مونيكا بصرها على وجه ابنتها التعيس وقالت بلهفة :

ـ الا ترين ان ذلك سيعزز مركزنا بالنسبة الى البيت ؟ لم يسعني ان ارفض اقتراحاً كهذا .

ـ يبدو انك فعلت كل شيء عدا الرفض .

ـ لعله يسرك أن تعلمي انه سيدفع لي اجراً ، فقد اتفقنا على راتب بسيط .

بدا صوتها حذراً ومنجرحاً في آن . اما ليزا فاحست بشحوب بارد يغزو وجهها وقالت :

ـ ماما ، ليتك توافقين على أن تمتنعي عن أخذ أي مبلغ مهما كان صغيراً .

حتى لنفسها عجزت عن تفسير سبب عزوفها الحقيقي عن أخذ أي شيء من سيمون ، وحتى قبلاته لم تجن منها سوى العذاب . حاولت اخفاء ضيقها فأردفت قائلة :

ـ يجب أن تفهميه ان مطلق عمل ستقومين به سيكون مقابل جزء من بدل الايجار أو مقابل صيانة البيت ان شئت ، لكن اياك ان تأخذي منه قرشاً ، فنحن مدينتان له بما فيه الكفاية .

ـ كما تريدين يا عزيزتي ، انه مبلغ تافه في اي حال ولا يستأهل هذه الجلبة .

اقتصرت أول حفلة عشاء على ستة اشخاص فقط ولم تظهر ليزا بتاتاً لترحب بالحضور . كان الأمر غاية في السهولة بل انها استطاعت ايجاد عذر مناسب تقبلته امها لكنه لم يرق سيمون على الاطلاق . فلقد لاحظ تغيبها وحين سألها صباح اليوم التالي عن مكان وجودها وقت الحفلة اجابته بعناد :

ـ كان من الممكن أن يخل وجودي باعداد الضيوف المزدوجة .

ـ ليس هذا هو الجواب المطلوب لسؤالي .

رمقته بنظرة توحي باللامبالاة .

كان صباح سبت وقد ذهبت الى الحقل لتنعم بالطبيعة والجدول . على مبعدة ، كانت تسمع ضجيج المدينة الخافت ، اما هنا في عمق الأشجار فلا تسمع الا تنهدات الهواء وهو يعبث بأوراق الشجر ويموّج العشب الطويل والأزهار البرية . التقطت بكسل ورقة من العشب الخشن كان ينمو قرب اجمة من العنبر البري وأخذت تمزقها نتفاً صغيرة بأصابعها النحيلة البضة . لم تعِ انها تفعل ذلك الا حين نزع سيمون العشبة من

يدها . ثم قبض على ذراعها بقوة وقال بنظرة داكنة وصارمة :

- اين كنت ليلة امس ؟ قالت مونيكا انك خرجت مع صديق .

هل بات يدعو امها باسمها الأول ؟ بالطبع سيفعل ما دام اكثر حذاقة من مونيكا ، وها هي قد بدأت تتغنى بمحاسنه صبحاً ومساء . حدقت اليه ليزا بخواء وقالت :

- اجل ، كنت مع صديق لي .

ارخى ذراعها وقال بضيق مكبوت وكأنه حزر عنادها المقصود :

- اي صديق ؟ بيل برايت ؟

اجابت بدون ان تنظر اليه :

- نعم . خرجت مع بيل .

احست بابر نارية صغيرة تسري في رسغها الذي افلته لتوه فراحت تمسده باصبعيها وكأنها تحاول ازالة لمسته .

احتواها بنظرة فاحصة وقال :

- لم يكن في نيتك الخروج معه ثانية بعد أن حضرت معه حفلة الباليه في ستراتفورد ، لماذا عدلت فجأة عن قرارك السابق ؟

- انا وبيل مجرد صديقين .

عبق وجهها اذ رأت حاجبيه يرتفعان بازدراء ، فأردفت فوراً :

- اوه ، اعلم ان هذه العبارة دعابة تقليدية لكنها تنطبق علينا فعلاً . لقد خرجنا مع بعض الموظفين والموظفات في المكتب ، ان كنت تصر على معرفة الحقيقة ، فقد دعتنا احدى الزميلات الى حفلة بمناسبة عيد ميلادها .

شمخت بذقنها العنيد ، فقال محدقاً اليها :

- متى ستتعلمين ان تردي مباشرة على الأسئلة التي توجه اليك ؟ لا بأس ، دعينا الآن من ذلك . لكن حين ادعو الناس الى البيت في المرات المقبلة اريدك ان تكوني هناك . هل تفهمين ؟ تستطيعين على الأقل ان تساعدي امك ان لم تقدري ان تفعلي شيئاً آخر .

هوى عنفه عليها كما الصفعة الا انها رفضت الرضوخ له كلياً . غمغمت برقة وتهذيب :

- ان وجود سكرتيرتك في هكذا حفلات قد يحرج موقفك يا سيد ردفورد ، فقد يظن ضيوفك اني اخبىء دفتر الملاحظات في ثنايا ثيابي ،

وهذا هو هدفك الرئيسي من الحفلات ، اليس كذلك ؟ انك تبغي تقييم كل مجرم مشبوه في المدينة .

اجابها بصوت فاتر :

- ليزا لوسون ، سوف ترغميني في يوم ما على ضربك كطفلة متمردة . كان يجب ان تضربي هكذا منذ سنوات طويلة .

التهبت وجنتاها وتحولت عيناها ناراً زرقاء وهي تجيب بغضب وتعثر :

- لن تجرؤ على ذلك ! انك لا تقل سوءاً عن سيلاس !

- ليتني عرفت عمي في حياته . هل افهم من كلامك انكما كنتما تختلفان في الآراء ؟

- كنت وسيلاس . . .

قطعت عبارتها وخمد غضبها بالسرعة التي اشتعل فيها . نظرت الى سيمون بقلق فاذا بنور الشمس يكشف تقلص العضلات حول فكه . كان يجب أن تعتذر بدل أن تتهور بجوابها بالرغم من تهديده . الا انه قد لا يصدقها اذا اخبرته انها ما اختلفت مع سيلاس حول أي شيء خلال السنوات الطويلة التي عاشتها في هولوز أند باستثناء خلافهما حول مهنتها المستقبلية . وعوضاً عن ذلك قالت له بجمود :

- اعتذر عن الطريقة الفجة التي خاطبتك بها . ادرك انك تواجه مشاكل في الشركة ، والبيت بيتك في اي حال .

اشاحت بعيداً عنه فأمسكها من كتفها وقال ببسمة خفيفة :

- هل قصدت ان تعتذري يا ليزا ؟

- نعم ، اظن ذلك . . .

ثم عضت شفتها بعنف خشية أن يفطن الى مدى شعورها بالندم ، وأردفت تقول :

- قلت اني آسفة .

- سمعتك .

ارخى يده فوراً وتابع يقول بحزم لعدم تأثره كثيراً بكلماتها القليلة المتكلفة :

- في مرة مقبلة ، حاولي ان تعتذري بوضوح اكبر . في أي حال لم آت هذا الصباح لأتحدث عن حفلة الليلة الماضية .

قالت على الفور :

ـ لم تذهب الى لندن هذا الاسبوع ؟

وعت فجأة ان اليوم يوم سبت وانه ما يزال هنا لسبب ما .

استدار ليسير معها في اتجاه البيت ثم وضع يده بحزم على مرفقها وقال :

ـ لدي عمل مهم هنا . يجب أن اتوجه الى مكان قرب بريستول في خلال ساعتين لحضور موعد مهم واحتاج الى مساعدتك . جئت لآخذك معي ، وأخشى اني قد اعتبرت ذهابك معي تحصيل حاصل .

ـ كان من الجائز أن لا تجدني .

تعثرت قدمها وسط العشب الطويل فشدد قبضته على ذراعها وأجاب :

ـ ادركت ذلك . إن هذا المشروع الجديد يخص فرع لندن في الواقع اكثر مما يخص الشركة هنا ، انما يمكنني أن انهي المسح المبدئي من بيرمنغام بالسهولة نفسها . كان الأمل ضئيلاً بأن أجدك هنا وان لا تكوني متقيدة بعمل خاص وهكذا قررت أن آتي لأتأكد .

ترددت ليزا لحظة عابرة اذ انها وعدت امها بأن تأخذها بالسيارة الى بيرمنغام هذا الصباح . لقد نجحت الصفقة مع المخزن اكثر مما توقعنا ، ومونيكا حافظت على كلمتها وتابعت الاتصالات بمفردها . الآن وعدت بأن تنجز ثلاث لوحات اخرى ووافق قسم المحاسبة على الغاء الدين فور تسلمه اللوحات تلك . كذلك انجزت مونيكا لوحة رابعة كانت تعتزم اخذها الى تاجر المتحف بعد طعام الافطار . التفتت ليزا الى سيمون بسرعة ولم تقدر أن تقاوم الاغراء الذي حثها على أن تقضي معه جزءاً من ذلك النهار على الأقل . هل تطلب الى الحارس وزوجته أن يوصلا مونيكا الى المدينة ؟ انهما خدومان جداً وامها تكره قيادة السيارة في شوارع بيرمنغام . قالت له :

ـ ارجوك ان تنتظر قليلاً حتى آتي بمعطفي . سأرافقك من كل بد .

ـ لا تبدلي ثيابك . ابقي كما انت .

وعندما اخبرت امها استغربت قبولها الفوري ، ثم أضافت قائلة :

ـ يجب ان ترافقيه فنحن ندين بالكثير لسيمون . انا سأدبر امر ذهابي الى المدينة ولو اضطررت الى ركوب الباص . اللوحة ليست ثقيلة انما مزعجة الحمل .

نزلت عند طلبه فظلت في سروالها الجينز الأزرق ولكنها اختارت بلوزة ثانية ملائمة اكثر . اما شعرها الطويل الذي سرحته عند المزين قبل يومين فكان يتهاوى متألقاً على كتفيها ولم يحتج الا الى ضربة مشط خفيفة . وفكرت بلهفة ، كم سيعجبه شعرها على الأقل ان لم يجد فيها شيئاً يعجبه . التفتت بفضول الى المرآة فشعرت بامتنان مفاجىء لبنيتها العظمية الدقيقة التي لم تلحظها من قبل . صحيح ان لباسها عادي غير انها تبدو جذابة اجمالاً وفي مقتبل العمر .

لقد رفض سيمون ان يدخل لاستعجاله في الذهاب ، ووجدته الآن يجلس في السيارة وهو يحدق الى الحقل بنظرة تقييمية .

وحالما انطلقا بالسيارة علق قائلاً :

ـ الحقل شاسع المساحة . اما ذكر سيلاس بتاتاً فكرة البناء عليه ؟

خبت ثقة ليزا التي اكتسبتها قبل دقائق معدودة وارتجفت ضمنياً ، اذ ان مجرد فكرة البناء وتأثير ذلك على امها اشعراها بخوف مفاجىء . اجابته بعنف :

ـ ان كان ذكر ذلك فأنا لم اسمعه بنفسي .

قال وعيناه السوداوان تسخران من شفافيتها :

ـ وامك لا تستطيع ان ترسم في اي مكان آخر . الا تظنين ان الوقت قد حان لأن تبدأ الرسم في اماكن اخرى ؟

غمغمت ليزا بشيء من التعاسة :

ـ ربما .

على مسافة تبعد خمسة عشر ميلاً عن بيرمنغام مرا بالبيت العتيق الذي كان والدها بالتبني يشغله كرجل دين . وهنا فاجأها سيمون بالقول :

ـ سنزور المكان في طريق عودتنا واذا وجدنا وقتاً نتناول طعام العشاء ونتجول فيه . لقد وعدت نفسي بهذه المتعة منذ اخبرتني انك ولدت هنا .

احست بالدم يهرب من وجنتيها واستقامت جالسة على مقعدها . لماذا تدور احاديثها الأكثر خطورة داخل هذه السيارة ؟ نظرت بعصبية الى جلد المقاعد المثير كما لو انها تتهمه بالتآمر الخفي مع الرجل المثير الجالس الى جانبها . تذكرت انه سألها عن والدها في مرة سابقة . . . ربما ينسى الموضوع اذا لم تعلق عليه اهمية . قالت بجمود :

ـ كما تريد .

نظر اليها بتمعن وقال :

ـ لو كنت مكانك لتلهفت الى رؤية المكان . الا اذا كان هناك شيء تحاولين اخفاءه ؟

التقت عيناها المتسعتان بعينيه المتسائلتين وهتفت بتهور فضح شيئاً من انفعالها الداخلي :

ـ بل ارحب بقضاء نهاراً بأكمله هناك .

ثم اضافت لتزيده اقتناعاً بلهفتها :

ـ تركت المكان منذ سنوات طويلة وأنا واثقة من أن لا احداً من سكان المحلة سيتذكرني .

عاد يحدق في الطريق وقال بجدية :

ـ شكلك من النوع الذي لا يتغير يا ليزا . قد تسرين عندما تكتشفين انهم لم ينسوك .

ـ لقد تغيّرت كثيراً منذ غادرت . كنت وقتها مجرد طفلة .

ضحك متلذذاً وقال :

ـ عزيزتي ليزا ، حتى الآن ، تتصرفين احياناً كالأطفال . من جهة اخرى ، قد تؤلمنا مواجهة الذكريات بالطبع ، انما لا يمكنك ان تطمسي الماضي وتعتبرينه شيئاً لم يكن . فان كنت تخشي بعض الذكريات ، الا تظنين انه من الخير لك ان تواجهيها ؟ اعرف تماماً انك لا تفتقرين الى الشجاعة .

وفكرت ليزا بجنون ، ان لم يصمت فوراً فسوف تصرخ ! الصراع بينهما على وشك الاحتدام وقد يكون سيمون واعياً له ويتلذذ به اكثر منها . المشكلة انه اصاب كبد الحقيقة . ليس في ما يختص بشجاعتها اذ لم تعد تملك منها الا القليل ! فلو انها شجاعة حقاً لبادرت الآن وسردت عليه كل

فصول خديعتها الحمقاء وباسلوب عفوي مرح يجعلها يضحكان معاً في نهاية القصة . الا انها لا تمتلك من الشجاعة أو الذكاء ما يكفي لحملها على المجازفة ولذا عليها ان تتمسك بقصتها الأساسية ، اي انه يتكلم جزافاً وليس لديها ما تخفيه .

اجابته محاولة تغيير الموضوع :

ـ ثيابي غير مناسبة لسهرة عشاء .

التفت اليها بسرعة وقال ناظراً في عينيها :

ـ تبدين جميلة والى حد الاغراء بالتهامك انما اعدك بأن اكبح نفسي أثناء العشاء .

ترنح قلبها بجنون بدل ان تترنح السيارة التي بدت كصاحبها ، مصممة على أن لا تحيد عن الطريق المرسومة امامها . الصمت سلاحها الوحيد وبوسع سيمون ان يفسره على هواه . اذا سلكا الطريق نفسها في العودة فيمكنها ان تتظاهر بالصداع أو تزعم بارتباطها بموعد آخر . المعروف عن النساء انهن خبيرات في ابتداع الأعذار المناسبة ، ولديها النهار بأكمله لتفكر في ذريعة مقنعة .

لو جاء من يقول لليزا انها كانت غارقة في الشفقة على نفسها ، لما صدقته ، انما لاعترفت ربما بانها تشعر بمزيج من التعاسة الخفيفة وعدم القناعة وان هذا المزيج يجرح قلبها . فسيمون يعذبها ويغيظها . تارة تود ان تنتحب باكية وتارة اخرى تود ان تكرهه ، الا انها تحس في اعماقها بعاطفة اقوى من الكراهية ولكنها تصر دائماً على عدم الاعتراف بها !

كانا يشقان طريقهما جنوباً في اتجاه بريستول دون ان يمرا بالمنطقة التي تجولت فيها مع امها بصحبة بيل ، بل كان سيمون يتبع وادي سيفرن الممتد من بلدة توكسباري حتى البحر وفي وسط الوادي تقع مدينة غلوشستر التاريخية التي كانت مركزاً زراعياً مزدهراً وملتقى طرق في عهد الرومان وأصبحت الآن مدينة صناعية على الغالب تصدر منتوجاتها المحلية الى الخارج .

لدى مرورهم بمعبدها الشهير عاد سيمون من شروده في قضايا العمل وقال مشيراً الى قبته :

ـ قد يهمك أن تعلمي شيئاً . انا لا اعرف غلوشستر جيداً انما اذكر ان

نافذة المعبد الشرقية تساوي مساحتها اثنين وسبعين قدماً في ثمانية وثلاثين ، وهذا الحجم من الزجاج الملوّن يأتي في المرتبة الثانية بعد زجاج معبد يورك وكلاهما شيد في القرون الوسطى .

ابتسمت قليلاً وقالت بتحفظ :

ـ لكنك قادر على الحصول على المتع بين الحين والحين .

بادلها ابتسامتها باخرى جافة وقال متأملاً محياها بسخرية :

ـ احياناً . . . وماذا عنك انت ؟

ـ استحق منك هكذا سؤال .

قال بنظرة براقة مليئة بالوعيد :

ـ في يوم ما ، سوف نجلس معاً يا ليزا وحيث ستجيبين على كل الأسئلة التي استطعت لغاية الآن ان تتهربي منها . قد نطلق على تلك الجلسة اسم « يوم الحساب » .

ـ انا لا اقصد التهرب انما لا اجد الجواب المناسب احياناً ، او بالأحرى الجواب الذي يهمك ان تعرفه . لكل منا حياته الخاصة خارج المكتب . قد اكون تواقحت عليك بعبارتي انما لم اقصد منها أن اتدخل في شؤونك الخاصة .

ـ قد تظنين ذلك لكن جميع النساء لديهن فضول معين بالنسبة الى الرجال . انه نوع من التفاعل الفطري وهو الذي يحافظ على مسيرة الحياة .

حدقت ليزا الى يديها وقد انتابها غضب مفاجيء بالرغم من الدعابة الخفيفة في صوته . انها تتمتع بحساسية بالغة تجاه الناس وقد احست بتيارات خفية في نفسه صعب عليه ان يعبر عنها بالكلام ، وهي ليست ذكية بما فيه الكفاية لتفسرها فوراً . قد يتضح لها مقصده مع مرور الأيام .

وجدت من الحكمة ان تخنق غضبها فتثاءبت تتظاهر بالاعياء وقالت وهي تسدل اهدابها بحركة دفاعية :

ـ كالعادة ، يبدو ان هذا الحوار لن يوصلنا الى اية نتيجة .

احسته يرمق جفونها المطبقة وسمعته يقول :

ـ اوشكنا ان نصل فلا تخلدي الى النوم . قد تجدين مبرراً حقيقياً

للاغفاء في طريق العودة .

٩- انتظرت وهي تخفي لسعة غيرة. ثم حدست ان لدى الفتاة شيئاً تقوله، وحدسها تجاه لورا لم يخب أبداً. ولكنها أحست هذه المرة بوخزة تحذير وأدركت غريزياً انها ستسمع خبراً لا تريد سماعه.

اتضح ان المشروع هو بناء فندق جديد وقد استطاعت شركة سيمون في لندن ان تكسب مناقصته. قضت ليزا بقية النهار تتبع سيمون حول اساسات البناء ودفتر الملاحظات في يدها فيما راح هو يبحث التفاصيل التقنية المعقدة مع المهندسين ومهنيين آخرين يعملون في شركته. ثم عقد جلسة مع أصحاب المؤسسة الضخمة التي ستتسلم الفندق بعد الانتهاء من تشييده، الأمر الذي أضاف الى أسهمها الوافرة أسهماً جديدة.

شهدت لسيمون بالخبرة والمهارة اذ لاحظت كيف فرض احترامه على هؤلاء الرجال وكيف راحوا يستشيرونه في معظم النقاط ويطلبون ارشاده دونما حرج. لم تمكنها خبرتها المحدودة من فهم غالبية الحديث الدائر بينهم لكنها استطاعت ان تسجل الملاحظات نقلا وهي تحمد الله على مهارتها في

الاختزال. لم تدر اذا كان سيمون ممتناً لجهودها، ولكنها شعرت، على الأقل، بالارتياح لأنه لم يوجه اليها أي نقد. وفيما بادلها الآخرون بعض التعليقات المرحة بين الحين والحين، اختار سيمون ان يتجاهلها، ومع ذلك لم تقدر هي الا ان تحس بوجوده الحاني اذ انه اهتم بتأمين كل احتياجاتها، وكان حين ينظر اليها بين وقت وآخر ترفع بصرها اليه وتجيبه بابتسامة حلوة تقوس شفتيها المليئتين.

وبالرغم من تشجيعه الصامت انتابها الارهاق في آخر النهار وتحسرت الى حد ما على تجوالها المعتاد في كل سبت، والذي اعتبرته نزهة بالمقارنة مع العمل الشاق الذي أدته اليوم، وهكذا تنفست الصعداء عندما قرر في الساعة الخامسة ان يتوقف.

ودّعا الحاضرين وانطلقا عائدين الى البيت.

انتابها احساس غريب بأنهما يتبادلان وعوداً معينة، وقد أبهجها هذا الشعور مع انها أكدت لنفسها عدم صحة هذه الفكرة. ألقت رأسها على ظهر المقعد وأغمضت عينيها في استرخاء.

وبعد مرور اكثر من ساعة خاطبها قائلا:

- ليزا استيقظي. لقد وصلنا.

أفاقت منجفلة وهي بالكاد تعي انها كانت نائمة ثم هبت جالسة وشهقت قائلة:

- وصلنا؟ أين؟

لم تشأ ان تصدق حقيقة اغفائها لأن سيمون وعد بسلوك طريق مختلفة اثناء الرجوع وكانت هناك أماكن كثيرة تود رؤيتها!

تأمل محياها العابق بدفء النوم وغمغم مجيباً:

- انظري حولك ايتها الاميرة النائمة. سمعتك بوضوح تقولين انك لست متعبة لكنك استسلمت للنوم حالما غادرنا بريستول.

لم تصغ الى كلامه اذ كانت تحدق من النافذة بخيبة. لقد وصلا الى المكان الذي أرادت التهرب من زيارته، الى البيت الذي عاشت فيه قديماً. حين تحدث سيمون عن زيارته اثناء العودة حسبته يلقي الكلام جزافاً... وجدت انهما متوقفان في ساحة القرية بالقرب من النزل القديم انما يبدو الآن اكثر فخامة من أي نزل آخر، فقد توسع وتعصرن فأصبح في مصاف

الفنادق الحديثة، وأحست ليزا بأنها لا تحبّذ هذا التحوّل. هتفت وكأنها تخاطب نفسها:

ـ اعتقد ان أصحابه تغيّروا ايضا وصار تحت ادارة جديدة.

فقال سيمون مقترحاً:

ـ تعالي ندخله وخابري امك لبينما أطلب الطعام. لم يحن موعد العشاء بعد، وسوف نمضي الوقت باستكشاف القرية لبينما يجهز الطعام. يمكنني كمشاهد، ان أدرس وجوه الناس لأستطلع فيها امارات تعرّفهم عليك. هل سبق وقمت بهذه اللعبة يا ليزا؟

كانت منشغلة بأفكار عدة فأجابت بارتباك:

ـ ألا تظن انه من الخير لنا ان نتابع السفر؟ سنصل البيت بعد ساعة وبوسعك ان تتناول الطعام عندنا. ستفرح امي بزيارتك.

قال بصوت يشوبه الضحك:

ـ هذا يدل على انك تعتبرين ترحيب امك تحصيل حاصل. لماذا نرهقها مجدداً بعد الحفلة التي أقامتها مساء امس وخصوصاً اني قادر على تزويدك بعشاء جيد هنا؟ اضافة الى ذلك، أريد الانفراد بك لساعة او اثنتين. ألا تدركين اني لم أحظ بهذه المتعة لغاية الآن؟

خابرت امها ثم انضمت اليه عند الباب الأمامي وأكدت لنفسها ان تعليقاته الغامضة لن تؤثر فيها. انما لماذا يخفق قلبها بهذا الشكل لمجرد رؤيته يقف امام الباب بقامته الطويلة وغروره وعينيه المطبقتين قليلا بفعل الشمس الغاربة؟ تطلعت اليه وصدرها يجيش بجملة عواطف مربكة. قبضت يده على مرفقها في حركة باتت مألوفة لديها وقال:

ـ هل نتمشى؟

أومأت بصمت ولم تتكلم ثانية الا حين اقتربا من المعبد. القرية نفسها تغيرت وبدا ان المعبد هو البناء الوحيد الذي بقي على حاله. القرية ازدهرت بالعمران ومعظم البيوت القديمة بيعت وتجددت حتى لا تكاد تعرفها وقد ساعد على هذا الازدهار قرب القرية من المدن والبلدات المحيطة بها.

اما البيت فلم تزره ثانية منذ ان انتقلت وأمها الى منزل سيلاس، وقد دفن والدها في لندن، مسقط رأسه. وقفت تتأمل مربع طفولتها وقالت

بهدوء:

ـ أترى؟ لقد اضعنا الوقت ليس الا، اذ لا أجد اي مكان يستحق الزيارة، ولا يوجد حتى ضريح.

نظر بتأنيب الى وجهها الفتي المتغطرس وقال:

ـ عزيزتي ليزا، تبدين مقتنعة بأني جئت هنا لأعاقبك في حين ان الفكرة لم تخطر لي اطلاقاً. لقد أثار فضولي فقط وقوفك الدائم على سلاحك، ومن شأن مطلق رجل ان يتساءل عن الأسباب التي ما تنفك تشغل ذهن الفتاة التي يهتم بأمرها؟

سهمه كاد يصيب عظمها هذه المرة... اشتعل الخوف في داخلها فشهقت قائلة:

ـ قد تكون رئيسي...

توقفت حين غرز أصابعه في مرفقها وارتفع الألم المبرح الى كتفها، فهتفت وهي تحاول انتزاع نفسها من قبضته:

ـ انت شيطان أيضاً!

رفض اخلاء سبيلها وقال بصوت كسول:

ـ قد أثبت لك في يوم من الأيام الى أي حد استطيع ان أصبح شيطاناً عندما أثار. اما الآن فيجب ان تأكلي، اذ لا يمكنني ان احصل من فتاة جائعة على ردود الفعل المناسبة.

كان يركز بصره على عنقها الجميل البض فغضبت وأرجعت رأسها العنيد الى خلف. أدركت انه يداعبها غير انها لم تقدر ان تتحمل مزاحه البتة. ارتجفت شفتاها قليلا واتسعت عيناها فيما تعمقت زرقتها وأحست بغربة واضحة. قد يكون مصيباً من الناحية الظاهرية. انها جائعة بالفعل.

تكهنت منذ البداية ان السهرة ستكون فاشلة، ومع انها لم تخل من لحظات مرح الا ان قناعة ليزا ظلت كما هي حتى النهاية. فلما شرعا في تناول حساء كثيف بالكريما ذي وصفة فرنسية، خف بعض استيائها حين كف عن اغاظتها وسألها:

ـ هل كانت أمك ترسم هنا ام انها بدأت الرسم بعد استقرارها في بيرمنغام؟

لم تكتشف ليزا الا بعد وقت طويل مدى السهولة التي وقعت بها في

الشرك، اذ افترضت ببراءة انه يركز اهتمامه على موهبة امها الفنية. قدرت فيه هذا الشعور النبيل فزال خفقان قلبها العصبي وحلّ مكانه دفء اضاء محياها. ابتسمت بأسى يمازجه عطف وقالت:

ـ اعتقد انها بدأت قبل مجيئها الى هنا. ان ولعها بالرسم يلازمها منذ سنوات طويلة- رسم الريف، أفراد عائلتها، اي شيء. كان والدي يقول انها تنوّع موضوعاتها كثيراً اما سيلاس فكان ينتقد ضعف لوحاتها حتى جاءت الى هولوز أند واقتصر رسمها على المناظر الطبيعية. اني أعجب بلوحاتها ضمنياً مع الاعتراف بأني لست ناقدة فنية. معظم انتاجها السابق مخزون في احدى العلّيات وهو بحسب رأيها غير قابل للبيع بتاتاً. في أي حال، اعتقد ان هذا هو السبب الحقيقي لتعلّقها بهولوز أند.

فعلّق سيمون بشيء من الاستغراب:

ـ اما تزال تعتقد انها لا تستطيع الرسم في مكان آخر؟ قد تكونين مخطئة بشأن انتاجها السابق لأنه اذا استطاع احد الفنانين ان يشتهر الى حد ما فغالباً ما يتضح في ما بعد ان لوحاته السابقة ذات قيمة كبيرة.

أجابته وهي تحدق اليه شاردة:

ـ ربما، لكني أتمنى لو تتخلص من تعلّقها برسم الحقول.

ـ قد تكون واهمة في اعتقادها بأنها لا تستطيع استيحاء الرسم من مكان آخر. ربما هي تميل في الوقت الحاضر الى التعلّق بالماضي والى التحسّر على الأشياء الكثيرة التي فقدتها. ربما لا تملك الايمان او الجرأة لكي تربط أفكارها بالمستقبل.

استمرت ليزا تشخص اليه ثم قالت ونظرتها تزداد يأساً:

ـ قد لا تفعل ذلك أبداً، الا اذا حصل زلزال وأيقظها!

فابتسم سيمون ليلطّف مزاجها المتهاوي الى حضيض القنوط وقال:

ـ ليس الوضع مأساوياً الى هذه الدرجة. لا تبتئسي يا ليزا لوسون والا انتهى بنا الأمر الى البكاء. اذا فشلنا في محاولتنا فلديّ بيت ريفي في جنوب فرنسا سأغريها بالذهاب اليه، وقد تبرهن على انها أسلس قياداً من ابنتها في أمور كهذه.

أشاحت بصرها عنه اذ شعرت باستياء غريب، وبلسعة غيرة لا داعي لها بتاتاً. هل سيعيد سيرة سيلاس من جديد فيبذل الغالي والرخيص من

أجل أمها وبدون اي مراعاة لها هي؟ ان تصرفاته لغاية اليوم تثبت صحة هذه النظرية، مع وجود فارق مهم، هو ان تصرفات سيلاس لم تكن تأبه لها فيما يجرحها موقف سيمون في صميم الصميم!

رفعت رأسها بجهد، وقالت وهي تبتسم له بوهن كيلا يفطن الى ما يدور في ذهنها:

ـ طالما تصورت متعة السكن في كوخ ريفي، لم أفكر بالطبع في مكان رائع كجنوب فرنسا لأن مثل هذه البيوت لا يراها المرء الا في أحلامه.

ـ ستحبين هذه المنطقة من فرنسا يا ليزا، لأن اشراقها ودفئها سيليقان بك، وقد تتخلصين حتى عن بعض تلك التحفظات التي تنكد حياتك.

ـ انها لا تنكد حياتي!

كرهت نبراته الساخرة والهزء الذي عاد الى عينيه الرماديتين. ثم أضافت باحتراس:

ـ من الجائز انها زرعت فيّ من اجل حمايتي.

ـ لتحميك من ماذا؟

عجزت عن الجواب وحتى عن احتفاظها برباطة جأشها لأكثر من لحظات معدودة. ترددت ثم نظرت بارتباك الى الشراب المتألق في كأسها. لم تقدر ان تتذكر نوعه انما في داخلها شك مقلق بأنها احتست منه اكثر مما يجب.

استشف سيمون أفكارها فقال بأمرها وقد تضايق من شكوكها:

ـ اشربيه يا حلوتي ليزا. اما اذا كنت تفضلين القهوة فلتناولها في قاعة الاستراحة.

ادركت لحظتها انه يسخر منها وكانت هي نفسها قد فقدت روح المرح. شعرت فجأة بوجوب الابتعاد عنه ولو لوقت قصير فقالت:

ـ لن أتناول المزيد. لقد تناولت الكثير من السوائل في بريستول.

فأشار بسرعة الى عامل المطعم حين رآها تنهض من مكانها ثم قال:

ـ اذن سنتحرك فوراً من هنا.

شعرت انه متردد في العودة فقالت معترضة:

ـ لا تنهض، أرجوك، اكمل شرابك وسأوافيك بعد قليل. كانت توجد في الماضي بحيرة اصطناعية خلف الفندق وكان القيّمون عليها يسمحون

لوالدي بأن ينزهني في القارب وأنا صغيرة. أود ان ألقي عليها نظرة سريعة.

أهداها ابتسامة مثيرة للجنون وقال:

ـ أتقولين هذا بعد حلول الظلام؟ أجلسي يا ليزا وهدئي أعصابك لبينما أتأكد من وجود البحيرة. بعد ذلك سنرى ان كنت تودين زيارتها في الظلام بدافع الحنين ام بدافع شيء آخر.

ـ سألاقيك عند السيارة بعد عشر دقائق.

استدارت بعد ذلك وخرجت من الغرفة مهرولة.

كانت تعلم ان غضبه سيحمله على اللحاق بها انما لم يخطر لها انه سيأتي بهذه السرعة... لقد وجدت البحيرة في مكانها السابق فوقفت امامها تتأمل التماع سطحها في ضوء القمر. كانت مخفية عن الطريق بأجمة أشجار كثيفة وحالما أدارت بصرها عنها رأت نفسها تواجه سيمون الذي جاء خلفها بسرعة.

قال بتمهّل ورزانة مع انه بدا يصارع صبره:

ـ يصعب عليّ احياناً ان أقرنك بالسكرتيرة الهادئة المتماسكة التي أعرفها.

كان يتأمل وجهها المغمور بضوء القمر فيما بقيت عيناه محجوبتين في ظلمة نسبية. وسمعت نفسها تهتف على رغم منها:

ـ لست مضطرة الى ان أكون هادئة ومتماسكة باستمرار. على الأقل، لا يمكنك القول اني اخترعت قصة البحيرة.

طوحت يدها في نصف دائرة ثم صرخت في وجهه الجامد وهي تشنّج قليلا:

ـ اعرف اني تحامقت في الخروج الى هنا وفي الطريقة التي تصرفت بها انما فعلت ذلك بدون قصد.

هز رأسه بتمهّل وقال محولا بصره الى المياه:

ـ زرت الفندق مرتين من قبل ولم أعلم بوجود بحيرة. لا بد ان حنينك قادك اليها.

ـ ومع ذلك تتكلم بارتياب؟

ـ كنت اتساءل، فأنا اعجز أحياناً عن فهمك. كنت أعتزم اصطحابك

الى الشقة- لنشرب القهوة، ان شئت.

ـ من اجل ذلك فقط؟

سؤال متهور ينطوي على خطر لكن الكلمات خرجت من شفتيها المرتجفتين قبل ان تتمكن من ايقافها. هناك مزيج من الاثارة والغضب يدوران في رأسها...

تأمل فمها المرتعد وقال:

ـ كلا. من أجل شيء أكثر لكنه غير ما تظنين. لقد رغبت فجأة في احتضانك وتقبيلك على أمل ان يجعلك ذلك تتخلين عن الكثير من روادعك وتحفظاتك. لكنك أفسدت عليّ خططي المحكمة تلك، اذ اضعنا وقتاً طويلا في القرية وتحدثت كثيراً في المطعم، والآن تهدرين مزيداً من الوقت أمام بحيرة مهجورة فلا يسعني بعد هذا التأخير الا ان أعيدك الى بيتك.

كان يغيظها وكرهته لأنه يفعل ذلك لكن معنوياتها ارتفعت بشكل غريب. فمن السهل عليها ان تواجهه حين يصفي مزاجه. قررت ان تتجاهل تلميحه الى الشقة وأجابته بخنوع:

ـ اعتذر عما سببته لك من خيبة.

ـ ما دامت السيدة مستعدة للاقرار بمكرها فقد نستطيع انقاذ الوضع بطريقة ما.

ثم سألها وعيناه تضحكان في الظلام:

ـ قلت ان لك ذكريات سعيدة مع هذه البحيرة؟

ـ لم تكن دائماً سعيدة. ليس عندما سقطت فيها ذات يوم...

عاد يتأمل امتداد البحيرة وسألها:

ـ وهل هي شديدة العمق والاتساع ليغرق المرء فيها؟

ـ مساحتها حوالى اثني عشر الف متر مربع وعميقة جداً في بعض الأماكن، او بالأحرى، كانت هكذا في تلك الأيام. لقد زرع بعضهم اشجاراً حولها، وكان يحلو لي ان أتكىء على حافة القارب وأتأمل ظلالها على سطح الماء حين تحركها الرياح. وذات يوم انحنيت اكثر من اللزوم وسقطت.

ـ وبدوت وقتها كفأرة مبللة ذات جدائل.

امتدت يده لتقبض على شعرها بقسوة ثم جذب رأسها صوب كتفه وأردف قائلا:

- كبرت ولم تعد لديك جدائل لكن شعرك كثيف ومغرٍ، يناسب ذوقي تماماً.

اتقدت عيناها بامتعاض جامح. انها لا تمانع في مداعباته انما ليس بهذه الطريقة. حاولت التحرك فجمدها بقبضة آلمتها. هتفت والدموع تلسع عينيها:

- لقد نشأت في بيت خلوق والطبيعة هي التي أنعمت عليّ بهذا الشعر.

تجاهل اعتراضها الواهن وقال باسماً:

- لم أر في حياتي فتاة جاحدة على غرارك. ليكن في علمك اني لا أعامل كل سكرتيراتي كما أعاملك.

ضمها الى صدره. لقد عانقها من قبل ومن المفروض ان تعتاد على ذلك. كادت ان تضحك بهستيريا. وأحسّت قلبها يركض بين ضلوعها.

ترددت قليلا فقال يأمرها بلطف:

- أخبريني، بماذا كنت تفكرين هذه اللحظة؟

- لا شيء معين.

بدا انه لم يقتنع وقال يعذبها:

- ما بك لا تقاومين يا حبيبتي؟ قد تقولين بعد لحظة انك عاجزة عن مقاومتي، وعندها نحرز تقدماً فعلياً.

انفجر رأسها غضباً ومذلّة. حاولت الافلات منه لرغبتها الملحة في الانتقام لكن قبضته الحديدية حالت دون ذلك.

قالت باختناق ورعونة:

- لا أمانع شخصياً في أن يعانقني رجل لكنك تختلف كثيراً عن سائر الرجال!

- اذن دعيني أثبت ذلك.

لقد أصبحت تحت رحمته كلياً، وقد أثارت فيه عبارتها شراسة لم يحاول اخفاءها. اعتقل كتفيها من خلال شعرها الكث ولم يأبه لايلامها. ارتعدت وما عادت قادرة على المقاومة، ضمّها فدارت الدنيا حولها ثم اختفت. انهما وحدهما على الأرض ولا تسمع الا أجراس تقرع في سكون الليل.

لا رقة في عناقه، انما عاطفة تخيفها. ومع ذلك لم تستطع منع ذراعيها من الالتفاف حول عنقه. ثم طفحت عيناها بالدموع، وهنا لمس ابتلالهما فابتعد عنها بحركة تلقائية هاتفاً بصوت أجش:

- ليزا. لم أقصد ان أخيفك، فاستفزازك لي ليس تبريراً عادلا لتصرفي. الحقيقة انني أكبر منك سناً وأنت تحتاجين وقتاً أطول لتنضجي.

صعب عليها ان تفهم اذ اختلطت كلماته بخفقات قلبها. حاولت جاهدة ان تستجمع شتات ذهنها. لقد تكلم بتوتر انما بنبرة هادئة. مع ذلك لم تفهم قصده.

ابتسمت له بارتجاف وقالت برقة:

- ارجوك، لا تعتذر. احسب اني فقدت اعصابي بسبب الارهاق. ما كان يجب ان آتي هنا من الأساس.

أدارها صوبه بسرعة ثم قال بايجاز:

- كان نهاراً شاقاً ومن الطبيعي ان ترهقي. سآخذك الى البيت.

مشت الى جانبه بتعثّر وغمغمت كالبلهاء:

- يؤسفني ان تشعر بالخيبة.

امسك مرفقها ليسندها في الظلام وقال:

- لا داعي للاعتذار يا فتاتي.

في السابق، وكلما احتواها بين ذراعيه، كانت تحاول اقناع نفسها بأنها تكرهه، اما هذه المرة فقد اتضح لها عكس ذلك. كان يجب ان تستشف الحقيقة من خلال دموعها وخفقات قلبها المجنونة التي بدأت تضنيها منذ وقت طويل. لقد وقعت في حب سيمون ردفورد. لا مفر لها من مواجهة هذا الواقع انما احست بذهنها يتبلد من هول الصدمة. لو انها تركت الشركة لدى وصوله لما حدث أي شيء من هذا. لا ريب انها سوف تمنى بتعاسة مجنونة لأن سيمون لن يبادلها حبها أبداً... من الحمق ان تأمل بمعجزة كهذه... قد يكون منجذباً اليها بشكل ما لكنه سوف يتسلى بها لفترة ثم يتزوج فتاة مثل لورا تنسون، لأن الرجال على غرار سيمون لا يسمحون لعواطفهم بأن تتحكم بهم فهم يعرفون طريقهم جيداً ولا يحيدون أبداً عن أهدافهم.

اذا كان هذا الاكتشاف قد أحدث لها صدمة فان ظهور لورا تنسون في

ردهة الفندق اصابها بصدمة اكبر، ولاسيما ان سيمون بدا مسرور لرؤيتها وقد عزز ابتهاجه بابتسامة عريضة كانت بمثابة الضربة القاصمة لعواطفها.

قال للورا بغموض استعصى على فهم ليزا:

- بدأت اعتاد على ظهورك المفاجيء.

ثم أردف وهو يدفع بليزا الى الأمام:

- انت تعرفين ابنة خالي طبعاً؟

التفتت اليها لورا بلا اكتراث وقالت بتقطيب خفيف:

- اجل، هل كنتما تعملان؟

أوحت نبرتها ان العمل هو السبب الوحيد لوجودهما معاً، وسارع سيمون الى التوضيح:

- كنا في بريستول وقد توقفنا هنا لتناول العشاء.

- لماذا هنا بالتحديد؟

ارتفع حاجبا سيمون وقال:

- أين الغرابة في ذلك يا عزيزتي لورا؟ انما، اشباعاً لفضولك، أعلمك ان والد ليزا كان يشغل مركزاً دينياً هنا.

فواجهت لورا عينيه الساخرتين بقولها:

- وهكذا فكرت ان تقوم بهذه البادرة اللطيفة. اعتقد انه يمت اليك بصلة قرابة؟

الحاح لورا، سواء كان مقصوداً ام لم يكن، أثار في ليزا غضباً لجوجاً فتدخلت بسرعة لترد عن سيمون:

- كنا عائدين الى البيت في الواقع.

ثم استغربت ان يشدد قبضته على ذراعها كأنه يحميها، وان يقول بحزم:

- ليزا متعبة. سوف نتوجه عائدين بعد ان آتي لها بشراب.

- ولي ايضا يا حبيبي سيمون، ان كنت لا تمانع.

ثم ابتسمت بجاذبية وأجابت بما بدا لليزا تخابثا مقصوداً:

- ان كانت ليزا متعبة فلم لا يوصلها سائقي بالنيابة عنك؟ كنت أزور أقارب لي في المنطقة- زيارة واجب لشخصين مسنين- وشعرت برغبة في اكمال السهرة هنا. اني أزور الفندق احياناً على أمل الالتقاء بأناس أعرفهم

وها أنذا أحظى برؤيتكما هذا المساء.

بوسع لورا تنسون، عندما تريد، ان تطغي بسحرها على الآخرين والى حد أزال شكوك ليزا بالنسبة الى ظهورها المفاجيء في الفندق. اضافة الى ذلك لا يعقل ان تكون اخترعت ذلك التبرير اذ لم يكن بوسعها ان تعرف مكان تواجد سيمون. لكن خطة لورا للتخلص منها واضحة كعين الشمس مما اعجز ليزا عن كبت ابتسامة خفيفة. قد لا تلام لورا وحدها على اتباع هذه الأساليب اذ يبدو ان تأثير سيمون المدمر يدفعها معاً الى الاصطراع على قلبه. أفلم تلجأ هي ايضا الى أساليب مماثلة؟ قد تكون ليزا بحاجة فعلية الى هذا الدرس الأخير.. ان ترى في سيئات لورا انعكاساً قاتماً لسيئاتها هي.

بعد ذلك لم تدر ليزا هل كان عليها ان تغتاظ او تبتهج لكون غريمتها فشلت في محاولاتها الوقحة لاقناع سيمون بترحيلها مع السائق. كانت احاسيسها المنجرحة تحثها على الانصراف بهدوء الا ان سيمون أصر على بقائها وأجلسها على مقعد وثير قبل ان يطلب الشراب. بعد ذلك طلب الى السائق ان يرجع بمفرده ثم أوصلها بنفسه الى بيرمنغام.

لكن ليزا شعرت بخيبة حين أخذها الى البيت رأساً. ولما هبطت من السيارة ركز بصره على وجهها الشاحب وقال:

- لقد تعبت هذا النهار وخير لك ان تنامي باكراً.

وقفت على الدرج تراقب رحيلها وعلى شفتيها ابتسامة حزينة. بدا واضحاً انه يعتزم اكمال السهرة مع لورا هذه الفكرة لم تخفف شيئاً من ألم قلبها بالرغم من العطف الذي أبداه نحوها. ان لورا تنسون ستنتصر عليها في كل مرة. والنظرة الشامتة على محياها الجميل تدل على قناعتها بأنها تملك كل الأسلحة اللازمة للانتصار.

لم تعلم ليزا بالقصة الكاملة لمغامرة لورا الطائشة الا حين اجتمعت بأمها في الصباح التالي وحيث قالت مونيكا وهي تمرغ المربى على قطعة خبز محمصة:

- خابرتني لورا امس مساء، بعد ان خابرتني انت مباشرة، فقلت لها انك كلمتني لتوك من الفندق. أغلب الظن انها أرادت الاتصال بسيمون.

وهكذا ثبت لليزا ان التقاءهما بها لم يكن مجرد صدفة، كما عزز شكوكها

في ان الآنسة تنسون تهتم بسيمون اكثر بكثير مما تزعم.

غني عن القول ان ليزا لم تنقل الخبر لسيمون اذ لم تجد أي جدوى من ابلاغه. فهو لن يهتم بحكاية كهذه، وحتى لو صدقها، فقد ترضي غروره ليس الا.

في الأسابيع التالية لم يسع ليزا الا ان تشعر بقنوط متزايد لكونها ارتكبت حماقة كبيرة بوقوعها في حب رجل لا يبادلها حبها حتماً. كانت هناك أيام شعرت فيها بقابلية شديدة للعطب وحيث كانت تتضرع الى الله بأن يبعده عن المكتب كيلا تراه كثيراً الا ان طبيعة عملها المتطورة حالت دون ذلك.

انهمكت في العمل بسبب غياب الآنسة براون الا ان سيمون جاءها بفتاة تساعدها كما وعد، وبعد ان تدربت جيداً اخذت تحل مكانها في المكتب وصارت ليزا ترافقه في مهماته الخارجية، حيث يتناولان الغذاء معاً في معظم الأحيان. كان يعاملها بلطف زائد لكنه لم يحاول مرة ان يعانقها كما في السابق. وفوق ذلك علمت ليزا انه يقضي سهراته مع لورا تنسون.

تمنت مراراً لو انها تملك الشجاعة لتقدم استقالتها وترحل، فبقاؤها قربه يضاعف آلام قلبها يوماً بعد يوم. عليها ان تفكر بأمها مع انها اصبحت مقتنعة بأن لا مستقبل لكلتيهما في هولوز أند، فاليت لا يناسبها نفسياً اذ يتسم بشيء غريب لا تتناغمان معه، فلا هي ولا أمها احستا بالسعادة الحقيقية فيه مع ان مونيكا قد ترفض الاقرار بذلك لفرط هوسها بالحقول. لكن ليزا شعرت بقناعة فجائية بأنهما متى غادرتا هولوز أند ستجد امها السعادة في مكان آخر وبطرق أخرى اكثر ارضاء لنفسيتها.

وبالرغم من كل هذه التحليلات والقناعات، أدركت ليزا انها ستبقى... فهي ان ابتعدت عن الشركة وسكنت بيتاً آخر فقد لا ترى سيمون على الاطلاق... عليها ان تكتفي بنصف رغيف بدل ان تُحرم من الخبز نفسه. وهنا، تستطيع على الأقل ان تراه وتتحدث معه ولو اقتصر كلامها على شؤون العمل.

ثم جاء مساء تذكرته ليزا طويلا فيما بعد. فقد زارت لورا المكتب فجأة بينما كانت هي تستعد للانصراف. قالت لورا انها جاءت لترى سيمون انما لم يبد عليها الكدر لكونها لم تجده.

ـ غادر الشركة باكراً ليحضر مؤتمراً في لندن. حسبت انك لا بد

تعلمين.

تجاهلت لورا تعليقها الأخير وقالت بعذوبة:

ـ لقد رأيته هذا الصباح.

ثم تقدمت الى مكتب سيمون وفتحت بابه بلطف فعلقت ليزا باقتضاب وحنق:

ـ ليس من عادته ان يختبيء من الناس أو من الذين ينفر من مقابلتهم.

ضحكت لورا بمرح وكأن تقريع ليزا الشائك لم يصبها بأي خدش. تراقصت عيناها الزرقاوان وسط ماكياجها الثقيل وهي تقول:

ـ كنت أختلس نظرة خاطفة فلا تكوني قاسية. لم أتصور انه سيكون هناك انما لم اقدر ان أكون في عداد الذين ينفر من مقابلتهم.

عبقت ليزا وترددت بارتباك اذ ضايقها كثيراً تصرف لورا المغناج. سألتها باحتراس:

ـ ألم تتوقعي ان يكون سيمون قد رجع؟

ردت لورا وهي تبتسم بثقة فائقة:

ـ لم اكن متأكدة. قال انه قد يرجع في هذا الوقت. كنت أمر من هنا فقررت ان أصعد لأتأكد. كثيراً ما يدعوني الى العشاء ففكرت ان أدعوه هذه الليلة الى بيتنا. لم أشأ ان أدعوه بالهاتف خشية ان يرفض بحجة التعب. وطالما اني لم أجده...

هزت كتفيها النحيلتين بحيرة فقالت ليزا:

ـ فهمت.

انتظرت وهي تخفي لسعة غيرة، ثم حدست ان لدى الفتاة شيئاً تقوله وحدسها تجاه لورا لم يخب أبداً. ولكنها احست هذه المرة بوخزة تحذير وأدركت غريزياً انها ستسمع خبراً لا تريد سماعه. استدارت بحركة دفاعية ومدت يدها على عمد الى غطاء الآلة الكاتبة. لكن هذه البادرة لم تؤثر في لورا كما أملت اذ سارعت الى القول:

ـ هذا الصباح تحدثت مطولا مع سيمون.

ـ أحقاً؟

ـ لا شك انه يعمل الكثير ليوقف الشركة على قدميها من جديد.

ـ كانت الشركة قائمة وراسخة قبل وصول سيمون.

ثم التفتت اليها ليزا مقطبة وهي لا تدري القصد من هذا الحديث ولا تبغي معرفته. وعادت لورا تقول:

- يعتقد والدي ان سيمون سيضحي مليونيراً عما قريب. قلما يجد المرء رجلا تجتمع فيه الشخصية الساحرة مع الثروة.

فعلقت ليزا بجفاء وشفتاها تتقلصان ازدراء على رغم منها:

- يبدو ان أباك يتمتع بحصة وفيرة من كلا الميزتين.

واضح ان لورا تمهد لشيء وبحماسة موسيقار يقود اعضاء فرقته في معزوفة الافتتاح!

- يقول والدي ان السحر يمهد الطريق لصاحبه ويعجب من رجل لا يستخدمه كما يجب. بوسع سيمون ان يبالغ في استعمال سحره عندما تدعو المناسبة.

- ماذا تقصدين؟

تظاهرت لورا بالتثاؤب ولم تحاول حتى ان تغطي فمها بتهذيب كما فعلت قبل أيام عندما تناولت العشاء في هولوز أند. أجابت ليزا قائلة:

- لو انك تعرفين سيمون جيداً لما طرحت السؤال يا ليزا. بوسعه ان يكون وحشاً عندما يريد، لكن بالطبع، ليس معي أنا.

احست ليزا برغبة في الصراخ. متى تصل لورا الى بيت القصيد؟ قالت وهي تقلص يديها:

- لم ألحظ ذلك!

ردت لورا وكأنها قطة تخرخر:

- أوه ستلحظين ذلك قريباً يا حبيبتي. خسارة انه مصمم أشد التصميم على التعمير فوق هولوز أند. كان بالامكان ان استمتع بالسكن فيه شخصياً في يوم ما.

حدقت اليها ليزا بخواء وأنفاسها تتقطع في حلقها. سألتها بصوت متمزق:

- هل لك ان توضحي؟

كان هذا الانتصار الأخير بالنسبة الى لورا، اذ تألقت عيناها بشماتة وقالت وهي تركز بصرها على وجه ليزا الشاحب:

- ألم تسمعي الخبر يا عزيزتي؟ لقد حصل أخيراً على الترخيص لبناء

مجمع سكني من المفروض ان يطلعك وأمك على تصميمه قبل ان يطلع الآخرين، وهذا ما قصدته بالقول انه يتصرف بمنتهى القسوة- عند الاقتضاء.

www.elromancia.com

١٠ ـ تجمدت في مكانها فيما اخذت الأحاسيس تتجمع فيها حتى اهتز جسمها النحيل برعشة صامتة . اغمضت عينيها وتركت العبرات تسيل على خديها . وعادت تنظر الى اللوحات العديدة . . . اذن فقد اكتشف انها ليست ابنة لوسون . فإن كل واحدة تحكي قصة وتصور مرحلة من حياتها !

كان البيت يستلقي حالماً تحت سماء صيفية تؤذن بالغروب عندما وصلته ليزا بعد ساعة من الزمن . تقدمت على الدرب المنحدر فلفحتها روائح المرج المعطرة من جديد . اصوات الصيف ، النسيم الهامس بدفء من خلال الشجر ، عبق التراب والأعشاب ، النحل الحائم حول الزهور ، أسراب السنونو المحلقة فوق رأسها ، كل هذه الجمالات ستفتقدها حتماً . لكن قلقها لا يتركز على مشاعرها الخاصة بل على مشاعر مونيكا ، فهي تحب البيت وقد لا تتحمل صدمة فراقه . . . اشتعل في قلبها كره مجنون تجاه سيمون كاد أن يخنقها .

بعد ان غادرت لورا المكتب ، بقيت ليزا حوالى نصف ساعة تحدق امامها وهي ساردة في لجة الشقاء . . . كم جرحها ان يوصل اليها سيمون

الخبر بهذه الطريقة . كانت ستُجرح ايضاً لو اطلعها عليه بنفسه ، اما ان يتركه بين يدي فتاة طائشة وحقودة مثل لورا فهذا امر يتخطى حدود ادراكها . لقد عرف ولا شك ان لورا ستسارع الى ابلاغها معلومات كهذه ، الا اذا كان واقعاً في حبها الى درجة اعمته عن رؤية مساوئها .

ضن اللون من وجهها كلياً عندما اقتربت من البيت اذ عادت كلمات لورا الى ذهنها . . . بالرغم من شكوكها وجهلها لأمور كثيرة ، لم تتصور لحظة أن يقدم سيمون على تعمير الأرض . لم يكن هذا السبب الحقيقي لذهولها . فبعد أن هدأت ثائرتها وفكرت منطقياً لم تجد مفراً من الاعتراف بانه ، عن طريق التعمير ، سوف يقطع كل الروابط التي تشد امها الى هولوز أند . . . لا ليس هذا ما أذهلها بل معرفتها بأن سيمون لم يكلف نفسه عناء ابلاغها الخبر بنفسه ، فمن المفروض أن تكون مونيكا أول من يعلم ، كما قالت لورا !

فور دخولها البيت وجدت صدمة اخرى في انتظارها ، فلورا لم تكتف بصفعها هي بل صفعت امها ايضاً ! فبعد مغادرتها المكتب اتصلت بمونيكا هاتفياً وأبلغتها الخبر . هذا ما علمته من امها المنتحبة ، وعندما حاولت أن تقنعها بامكانية وجود خطأ ما في رواية لورا ردت مونيكا باكية :

ـ لا ريب في صحتها لأنها سمعتها من فم سيمون نفسه . تعلمين جيداً انه لن يمزح في امر كهذا .

ـ لا ادري بالضبط ما حصل . . .

ـ انا اشمأزيت من اطلاعي على الخبر بهذه الطريقة وكنت اعتزم الا اذكر لك شيئاً حتى ارى سيمون . لا ادري لماذا تعمدت لورا ان تطلعك عليه .

قالت مونيكا ودموعها تسيل على خديها :

ـ انا اجهل السبب كذلك . . . ان السأم يدفع الفتيات الثريات على شاكلة لورا الى البحث احياناً عن الاثارة من خلال تصرفات خبيثة كهذه ، ليس هناك سبب آخر الا اذا كانت تغار من امتيازاتي بشكل ما . ربما هي تعتزم الزواج من سيمون وليست على استعداد لأن تتقبل اقرباءه .

فعلقت ليزا بجفاء وهي تحاول أن تخفي عذاب قلبها العميق :

ـ ان تزوجته فقد تكون مشكلة تافهة بالنسبة اليها . في أي حال ،

الذنب ليس ذنبها كليا اذ كان على سيمون أن يخبرنا بنفسه .

نزعت معطفها وألقته على كرسي قريب ، فلاحظت ان ادوات امها ملقاة باهمال قرب الهاتف . . . دهان وقماشة ولفافة من ورق الرسم . . . وهي ترجعها عادة الى الخزانة فوراً . سألتها بصوت منخفض وهي تجلس على ذراع مقعدها :

ـ هل يؤلمك رحيلنا يا ماما ؟

ـ اكاد اموت من الألم ! اشعر من الآن بحزن رهيب ، فبدون هذه الحقول لن استطيع الاستمرار في الرسم حتى لو سمح لنا بالبقاء هنا . لا ادري ماذا سأفعل .

ضغطت ليزا على كتفها وتوسلتها قائلة :

ـ ارجوك يا ماما . هوّني الأمر على نفسك .

أرعبها موقف امها . ولكنها عجزت عن تهدئتها فانتظرت بعصبية حتى تتوقف عن كيل الاتهامات والتذمرات . قد تشعر بتحسن اذا أفرغت الهموم من صدرها . شردت تفكر في تعاستها الخاصة فلم تصغ الى كل ما كانت تقوله والى أن سمعت شيئاً جعلها تستقيم في جلستها بعنف :

ـ يوم أمس ، تجول سيمون في غرف البيت . قال ان الأمر يتعلق بالتأمين ضد الحرائق . قضى معظم الوقت في العليّتين . لم انتبه له كثيراً لكنه طلب الي بوضوح أن لا اذكر لك شيئاً عن زيارته الا بعد أن يعود من لندن . لم أفهم مقصده هذا .

هبت ليزا واقفة وقالت بغضب قلص أطرافها :

ـ كان يجب أن تخبريني بسرعة يا ماما ! لا ريب انه يعتزم تحويل المكان بكامله الى شقق سكنية ، واعتقد انه طلب اليك السكوت ليستمتع بابلاغي ذلك بنفسه . حسن ، سأخبرك ما سوف افعله . ساغتسل واصنع لك فنجاناً من القهوة ثم اذهب فوراً لمقابلة سيمون ردفورد بنفسي ، واياك ان تحاولي ايقافي !

بعدما انهت مهامها واستعدت للذهاب توقفت قليلاً لتفكر جدياً في ما ستقدم عليه . هناك فارق كبير بين أن تفقد اعصابها وتقسم على الانتقام من سيمون لأنه تآمر عليها من وراء ظهرها وبين أن تذهب اليه وتواجهه في عقر داره . قد لا يكون رجع من لندن وليست لديها أية فكرة عن مواعيد

القطارات المسائية . تذكرت وصول قطار الى محطة نيوستريت في الثامنة مساء عندما عادت به من لندن قبل بضعة اشهر .

كانت تعلم ان سيمون يسكن شقة مفروشة بالقرب من المحطة ، وقد أخذت العنوان ورقم الهاتف لتتصل به في الحالات الطارئة لكنها لم تذهب اليها من قبل ولم تجد أي سبب يدعوها الى الاتصال به .

ذعرت مونيكا لمرأى وجهها الشديد الشحوب والتوتر فناشدتها قائلة :

ـ اليس من الأفضل أن تؤجلي رؤيته الى يوم غد ؟ قد يفسر سيمون شيئاً فاتنا أن نفطن اليه . لا اريد ان نزيد الأمور سوءاً .

تظاهرت ليزا بعدم سماعها ثم غادرت البيت بسرعة وهي تقول :

ـ لن اتأخر في العودة .

لم ترد عليها بأكثر من ذلك ، اذ شعرت بفورة طازجة من الغضب ذهبت بترددها وجعلتها اكثر تصميماً على تنفيذ مهمتها . ان رجلاً مثل سيمون ، يلجأ الى تصرفات مقيتة كهذه لا يمكن الا ان يثير الكراهية والاحتقار ، وهي لن تحرم نفسها متعة ابلاغه هذه الحقيقة وجهاً لوجه . لم تشأ ان تؤجل مواجهته حتى الصباح كيلا تسمع مساعدتها الجديدة ما لديها من كلام ، فهي تشك الى حد ما في حب الفتاة للتنصت .

وفيما هي تخرج بالسيارة من المرآب اصطدم ذهنها بخاطرة مزعجة جعلتها تتوقف وتتساءل عن مدى تهورها . فماذا ستفعل اذا دقت باب سيمون ووجدت لورا عنده ؟ هناك الف احتمال لوجودها معه ، وخصوصاً ان لورا بدت مصممة مثلها على الاتصال به ذلك المساء ، انما لهدف مختلف بالطبع .

ازاحت مخاوفها جانباً . سوف تواجه طارئاً كهذا لدى حدوثه وليس قبله . . . يمكنها التذرع بانها جاءت لتراه بخصوص العمل وتزعم انها كانت تحاول الاتصال هاتفياً فلم تفلح . في ظرف كهذا سيضطر ان يمنحها بضع دقائق من وقته وهي كافية تماماً لافهامه رأيها فيه . . .

اوقفت السيارة في مرآب الزوار خلف صف من المواقف الخاصة بسكان البنايات ثم أقفلت بابها قبل أن تعبر الطريق الى اقرب بناية . كانت ترتفع فوق رأسها بوجوم قاتم وتنفست بعمق قبل أن تصعد الدرجات المؤدية الى الردهة . فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها عنوان سيمون المدوّن على ورقة

من أوراق المكتب . احست توتراً عصبياً في اصابعها ، اما شجاعتها التي ظنتها قوية كالفولاذ فقد بدأت تنحسر عنها .

قرأت ، شقة رقم ستة وعشرين ، الطابق الثاني . لا حاجة بها الى استعمال المصعد ، خير لها ان ترتقي الدرج وتستغل الوقت في تهدئة اعصابها . كان الدرج مكسواً بالسجاد فلم تحدث قدماها صوتاً وهما تغوصان في عمقه الوثير . استغربت الهدوء الشامل حولها وصعب عليها التصديق بأن البناء يضم ، ولا ريب ، مئات من السكان نظراً الى ضخامته .

لدى وصولها الطابق الثاني شدت كتفيها وعبرت الممر بتمهل وهي تقرأ الأرقام على الأبواب . اربعة وعشرون ، خمسة وعشرون . ستة وعشرون . . . هذه هي شقته .

ضغطت على الجرس دون أي تردد وانتظرت . كان قلبها يخفق بدوي متلاحق وأدركت انها اذا اعطت نفسها الفرصة لاعادة التفكير لولّت الادبار دون أن تنظر خلفها .

طال الصمت كثيراً فبدأت تظن أن سيمون لم يرجع الى شقته بعد . غمرها الارتياح الا انه لم يعمر طويلاً اذ سمعت صوت خطوات حازمة تقترب من الباب ثم انفتح على اتساعه ورأت سيمون يقف بنفسه على العتبة وقد تسلط عليه الضوء الآتي من الغرفة خلفه .

اخذ يحدق اليها بذهول ولحظت انه يرتدي سروالاً خفيفاً وقميصاً مفتوحة عند العنق وقد طوى كميها حتى مرفقيه . لم يكن يتوقع زواراً على ما يبدو ووجدت ليزا نفسها عاجزة عن الكلام .

قطب جبينه مستغرباً ومرر يده على شعره ثم سألها بحدة :

ـ ما الذي جاء بك الى هنا ؟

نظرت من فوق كتفه الى داخل الشقة فلم تر اثراً للورا تنسون . قالت اخيراً :

ـ اردت مقابلتك . اظن من الأفضل ان تدعوني الى الدخول .

قادها بصمت الى غرفة جلوس واسعة كانت قمة في الروعة المترفة . مقاعد وثيرة ، اريكة مستطيلة ومنجدة باناقة فائقة ، سجاد من الموكيت ونوافذ من السقف الى الأرض تتيح رؤية شاملة للمدينة المضاءة .

دعاها الى الجلوس فجلست على حافة الأريكة وهي خجلة الى حد ما من قلبها الخافق وشاعرة بانه ما يزال يرمقها بشيء من نفاذ الصبر . ثم أخذ ينزل كمي القميص ويزررهما ، فودت أن تطلب اليه عدم ازعاج نفسه بالرغم من الغضب الذي استمر يأكل اعصابها .

رطبت شفتيها الجافتين بلسانها ثم اندفعت تقول :

ـ اردت التحدث اليك . اقصد ، اردت ان اناقشك امراً سمعته هذا اليوم .

ضاقت عيناه حين لاحظ تواتر الشحوب والتورد تحت بشرتها الناعمة وقال :

ـ فهمت .

حدقت اليه كارهة نظرته الباردة . أشعرتها بانها ضيفة دخيلة وقدرته على لجم لسانها في حين ان لديها الكثير لتقوله . ثم رفعت صوتها قائلة :

ـ رأيت لورا تنسون هذا العصر .

اسودت نظرته الحادة وحثها قائلاً :

ـ وهكذا ؟

عصرت يديها بعنف وانغرزت اظافرها في كفيها وهي تراقب وقفته الجامدة في منتصف الغرفة دون أن تختلج فيه عضلة . ثم تقدم صوبها قليلاً وأخذ يتأمل محياها العابق بصمت واجم وكأنه تكهن بشيء مما ستقوله . بالطبع ، ان اي انتقاد للورا تنسون كفيل باثارة غضبه . هذه الفكرة اثارت غضبها هي فهتفت بتهور :

ـ اخبرتني انك تعتزم التعمير على اراضي هولوز اند . لم تكن لديك الشهامة الكافية لتخبرني ذلك بنفسك بل ارسلت صديقتك لتقوم عنك بالمهمة . انت لست مخادعاً فقط بل انت جبان ايضاً وتثير الازدراء !

رأت عينيه تقدحان شرراً وشفتيه تتقلصان بغضب لاهب عجز عن اخفائه حين قطع اتهامانها الطائشة قائلاً بحدة :

ـ هذا يكفي .

استفزها صمته فهبت واقفة ثم قالت وهي تتراجع مبتعدة عنه :

ـ لكنك لا تستطيع إنكار أي شيء من ذلك !

اجابها بشراسة :

- لن انكر مطلق شيء . سوف اعمر على كل تلك الأملاك الملعونة !

أدركت متأخرة ان الحكمة كانت تقتضي منها أن تتقرب منه بطريقة مختلفة تماماً . فهي لم تره على هذه الحال من قبل ولا تريد أن تراه ثانية هكذا . . . انها تكرهه . . .

لكن نظرته هذه افقدتها كل عزم على التعقل فهتفت وهي تواجه عينيه بتحدٍ :

- هذا ما كنت تعتزمه من البداية ، اليس كذلك ؟ اذكر ان بيل برايت قال شيئاً حول ذلك بعيد وصولك الا اني لم اعلق اهمية على كلامه ، لسوء الحظ .

اجابها متهكماً :

- انها لخسارة كبيرة أن يهرع اليك السيد برايت بمعلومات غير دقيقة .

- قد يفتقر بيل الى الدقة احياناً لكنه ليس غشاشاً مثلك .

- وماذا عنك انت ؟ لقد تركتني اعتقد انك ابنة خالي في حين انك لا تمتين الي بقرابة حقيقية . لا يحق لك التكلم عن الخداع يا عزيزتي ليزا !

أحست برعب محض يضرب جوانب رأسها . اذن هو اكتشف الحقيقة ! وفي غمرة هذا الكابوس شعرت بومضة ارتياح غريب انما لم تكن كافية لتمكنها من السيطرة على رعبها المجنون ، وحيث شهقت قائلة :

- انت جدير بالكراهية .

ثم استدارت على عقبيها واتجهت صوب الباب ، منفذها الوحيد الى الهرب .

خيل اليها ، للحظة خاطفة ، انها نجحت في التهرب منه لكنه سرعان ما لحق بها وجذبها مجدداً الى دائرة ذراعيه الصلبتين . قال بغضب منضبط وغير متسامح :

- لقد اصبت الظن فيك منذ البداية ، فأنت أتعبتني بتصرفاتك الرعناء واللامسؤولة طوال الوقت ، وآن لك أن تتعلمي درساً مفيداً .

تجاهل مقاومتها العشوائية فرفعها عن الأرض ثم القاها على وسائد الأريكة الوثيرة . وضع يده خلف رأسها وأطبق يعانقها . استشعرت حقده والتهديد الكامن في شفتيه فقامت بمحاولة اخيرة للافلات غير انه اعتقلها بشراسة جدتها .

وشيئاً فشيئاً بدأت تحس بإثارة حادة تسيطر على عروقها وتذيب غضبها ومقاومتها .

وعندما رفع رأسه اخيراً بقيت بلا حراك انما مدت ذراعها وطوقت بها عنقه دون ان تعي حقيقة ما تفعل . تسلط ضوء المصباح على شعرها الحريري المتناثر على كتفيها ، فقبض سيمون على خصلة منه وقال ناظراً في عينيها :

- كيف ترين نفسك الآن ، يا صغيرتي الجبانة ؟

فتحت جفونها المطبقة فاذا بعينيه الداكنتين تشتعلان بلهب محموم .

لقد واجهت الحب في حياتها لكنه لم يصبها بسهامه الا حين التقت سيمون ردفورد . كانت تقرأ في عيون الرجال نظرات اعجاب ورغبة الا انها لم تعرف رجلاً مثله يستطيع ان ينظر اليها بمزيج من النفور وارادة الامتلاك في وقت واحد . كان وجهه كالصخر المنحوت ولم يكن يحاول اخفاء ثقته بانه سيد الموقف ويستطيع ان يفعل بها ما يشاء بعدما انهارت الآن كل خطوط دفاعها السابقة .

ظل ممسكاً بخصلة شعرها وفي الوقت نفسه مد اصابعه الأخرى فاعتقل ذقنها وأدار وجهها وعانقها مجدداً . هذه المرة تجاوبت معه حتى قفز قلبها كطائر مجنون في قفص ضلوعها .

أدركت ليزا في ما بعد ان الدمار كان من الجائز أن يحصل لو لم يرن جرس الباب بالحاح وقوة ، وكأن الزائر متأكد من وجود شخص داخل الشقة ومصمم بالتالي على ان يفتح له الباب .

احست بأنفاسه تعود الى انتظامها عندما تأكد من صوت الجرس ثم انتابها حزن شديد حين ارخى ذراعيه وقال :

- يبدو ان لدينا زواراً .

كان من المفروض أن تشعر بالامتنان لو لم يتضح لها ان لورا تنسون هي الزائرة ، اذ سمعتها تحيي سيمون بقولها :

- مرحبا يا حبيبي . كنت متأكدة من رجوعك ولذا لم اتوقف عن رن الجرس .

كانت هذه القشة الأخيرة بالنسبة الى ليزا . . . لم تقدّر صنيع سيمون الذي اخذ يشاغل لورا بالكلام ليعطيها فرصة تنظم فيها شعرها المبعثر

وتسوي فستانها المشوش . ثم واجهت المذلة الأخيرة الصعبة الاحتمال عندما دخلت لورا الى غرفة الجلوس رأساً . نظرت الى ليزا ولم تلحظ تورد وجنتيها او ارتباكها لفرط انشغالها بأفكارها الخاصة .

استدارت الى سيمون وقالت بنبرة تقطر شفقة :

ـ ارى انكما تعملان كالعادة يا حبيبي . ان سكرتيرتك المسكينة مرهقة ولا ريب . اوقف الشغل وأرسلها الى بيتها يا عزيزي . الست مصيبة في ظني يا آنسة لوسون ؟

ـ انت مصيبة كالعادة يا آنسة تنسون .

تجاهلت الابتسامة الساحرة التي قذفتها بها لورا عبر ظهرها ولم تنتظر تدخّل سيمون بل سارعت الى التقاط حقيبة يدها وخرجت من الشقة مهرولة . لا يهمها ان ظنت لورا سوءاً برحيلها المفاجىء كذلك لم تأبه لتوديع سيمون .

لكنها لدى وصولها البيت استحوذت عليها فكرة واحدة لا غير ، هي ان سيمون لم يحاول ارجاعها ! وكل ما استطاعت أن تقوله لأمها هو انه رفض بحث الموضوع معها ، وهكذا ستراوحان مكانهما .

في الصباح التالي وجدت الجرأة لتعترف بانها لا تعتزم العودة الى المكتب . لقد اتخذت هذا القرار بعد ليلة ارق طويلة ورفضت أن تحيد عنه حتى عندما اخبرتها مونيكا ان مساعدتها في المكتب تطلب التكلم معها على الهاتف . هزت ليزا رأسها نفياً فعادت مونيكا لترد على الفتاة :

ـ آسفة ، ان ابنتي متوعكة الصحة قليلاً وقد تذهب الى المكتب في وقت لاحق من هذا اليوم .

أقفلت الخط ثم قالت لليزا موضحة :

ـ تأجيل ذهابك سيعطيك وقتاً لمراجعة أفكارك . ليس من الحكمة أن يحرق المرء كل جسوره . قد تتحسن نفسيتك بعد بضع ساعات .

اجابتها بجمود :

ـ لا اظن ذلك .

حاولت الا تفكر في سيمون ، فلا ريب أنه نسي الآن ما جرى وسيتوقع منها ان تحذو حذوه . استعرضت وقائع الحادثة وأقرت بوجوب اعتذارها اليه ، فهي اخطأت كثيراً في المبادرة الى اتهامه قبل أن تعرف منه حقيقة

دوره في القصة ، وما كان يجب أن تطلق لسانها بتلك الطريقة الشرسة المستهجنة .

سكبت مونيكا لنفسها فنجان قهوة وجاءت به الى حيث تجلس ليزا قرب النافذة تفكر في همومها . ثم سمعت امها تقول :

ـ قد تكون فكرة جيدة يا عزيزتي ان ازور عمتك في اوستراليا . لقد تسلمت منها رسالة اخرى بعد ظهر امس انما سهى عن بالي أن اخبرك في غمرة الأحداث . انها تصر على دفع ثمن التذكرة لي ، ولك ايضاً ، ان شئت ، فهي تعتقد على ما يبدو ان بلادنا على وشك الانهيار في اية لحظة بسبب الأزمة العالمية القائمة واننا سنكون اكثر اماناً في اوستراليا . هذا هراء بالطبع ، لكنك تعلمين يا حبيبتي اني افكر في السفر منذ مدة انما اوضاعنا المالية لم تسمح بذلك . في أي حال ، لقد توصلت الى قناعة تامة بصوابية السفر .

ـ بالطبع يا ماما ، لكن لا تحسبي حسابي . سأبقى هنا .

حاولت ليزا جهدها فلم تتمكن من بعث الحماسة في نفسها ، شعرت فقط بشيء بسيط من الارتياح لأنها قد تترك بمفردها مع احزانها .

تأملتها امها بقلق وقالت مقطبة الجبين :

ـ لقد اخطأت في زيارة سيمون مساء امس وكان يجب ان امنعك . الذنب ذنبي لأني اقمت الدنيا وأقعدتها . . . انا نادمة كثيراً على تصرفي ولا سيما الآن وحيث انظر الى الامور من وجهة نظر مختلفة تماماً .

ـ ليس الأمر مهماً في الواقع ، فخير لنا أن نسكن بيتاً أصغر من هذا ، وقد يكون مشروع العمران نعمة للمنطقة . ثم ان تحسرنا قد يكون مضيعة للعواطف لأن سيمون اكتشف اني لست ابنة خاله الحقيقية .

ـ وكيف اكتشف ؟

ـ لا ادري . . .

ـ وهل غضب ؟

ـ لست متأكدة . . . اظن ذلك .

ـ اذن خير لي ان اسافر الى اوستراليا .

هزت مونيكا كتفيها بأسى فعبرت بذلك عن استعدادها للقبول بأفضل الموجود .

وتابعت تقول :

ـ انما لن اذهب يا حبيبتي قبل أن اطمئن الى وضعك ، الا اذا غيرت رأيك وسافرت معي . لا ارى ما يمنع ذلك .

في وقت لاحق غادرت امها البيت لتبحث تفاصيل رحلتها مع احدى وكالات السفر في المدينة . كم يدهشها مزاج مونيكا الزئبقي المتقلب .

بعد ذهاب مونيكا ، استدارت ليزا فجأة وأخذت تصعد الدرج قفزاً الى حيث العليتين . لم تكن تعي تماماً ماذا تفعل . . . الأمر غير منطقي وعليها أن تكف عن تصرفات غريبة كهذه لكنها شعرت برغبة ملحة في أن تدخل المكان الذي دخله سيمون وان تسير حيث سار ولو حتى في عليّة . . . قد تجد هناك اثراً صغيراً منه أو تذكاراً معيناً تحتفظ به .

لم تجد شيئاً في العلية الأولى فأغلقت بابها وتوجهت الى الثانية . وفجأة توقفت على العتبة وقد شحب وجهها واختنق النفس في حلقها . لم تكن بحاجة الى اضاءة النور كي ترى ان هذه العليّة هي التي كشفت لسيمون انها ليست ابنة جون لوسون .

تجمدت في مكانها فترة طويلة فيما اخذت الأحاسيس تتجمع فيها حتى اهتز جسمها النحيل برعشة صامتة . لسعت الدموع جفنيها فاغمضت عينيها وتركت العبرات تسيل على خديها . مدت يدها تبحث عن المنديل في جيبها ولما لم تجده مسحت دموعها بقبضتيها وعادت تنظر الى اللوحات العديدة المصفوفة على الجدار .

اذن لقد وجدها ، وكل واحدة تحكي قصة وتصوّر مرحلة من تاريخ حياتها . في اوستراليا ، لوحة لوالدها الحقيقي يحملها طفلة رضيعة ، في الثانية يلاعبها وهي تحبو ، الثالثة والأخيرة تمثلها سابحة في حزن عميق كما لو انها تفكر في الموت الذي جرحها حتى في طفولتها . . . ثم لوحتان رسمتا في لندن واخرى مذيّلة بعبارة « يوم التقينا ، جون » . بعد ذلك لوحات عديدة لحياتهم في القرية ، كلها تحمل الاسلوب نفسه وتصوّر زوجين سعيدين لديهما طفلة تنمو بفرح وجمال .

كانت مستغرقة في ذكرياتها الحزينة الى حد انها لم تسمع معه اقتراب الخطوات أو طقطقة السلم الخشبي العتيق . لقد صعد بهدوء شديد وحالما سمعت صوته استدارت بعنف وقد قفز الخوف في عروقها كألسنة النار .

سيمون !

تراجعت صوب الباب المفتوح باحتراس شديد . . . توجد طريق اخرى للنزول اذا أسرعت بما فيه الكفاية . . . يجب أن تتهرب منه بشكل ما وليس لديها ما ترد به على عباراته .

لكنه قطع المسافة بينهما في خطوتين وأسر خصرها بذراعه القوية . . . وفكرت بمرارة ، هكذا فعل ليلة امس . . . عادت المذلة تمزقها فرفعت يدها واخذت تضرب صدره بجنون .

ـ ليزا ، ليزا ، ما هذا الذي تفعلينه . كنت احاول المجيء الى هنا من حين عرفت انك لم تذهبي الى المكتب . أبهذه الطريقة تستقبلينني ؟

ـ اواه منك يا سيمون !

حاولت يائسة ان توقف انبثاق الدموع من عينيها لكنها سالت على خديها وذهلت حين احنى رأسه ومحا الدمع عنهما . وقال هامساً :

ـ لا تبكي يا ليزا .

ثم حملها وسار بها الى النافذة كي يتمكن من رؤية وجهها المضطرب وتابع :

ـ جئت لأخبرك اني احبك . اضحكي ان شئت انما لا تبكي ، ارجوك .

ما هذا الذي يحدث ؟ هل حقاً همس لها بحبه ؟ هنا احست ان كل ذرة من التعقل والمقاومة ترحل عنها الى غير رجعة . لن تستطيع محاربته بعد اليوم ولا تريد ذلك . . . فالفرح يتدفق في جسمها كتيار جارف وليس هناك اي مجال للمكابرة . طوقت عنقه بذراعيها البضتين وهمست بفرح متقد :

ـ سيمون . . . حسبت ان قلبي كان سيتحطم .

ضحك بلطف وقال بتلك السخرية القديمة :

ـ كلا ، قلبي الذي كان يتحطم ، وانت لم تعطفي عليه البتة !

ـ اعتذر عما حصل ليلة امس . كنت غاضبة جداً بسبب مشروعك الاسكاني فلم اتوقف لأفكر .

ـ يسرني انك لم تفعلي فلحظة الجنون قد تكون تجربة رائعة في بعض الأحيان .

ـ لكن الأشياء التي قلتها لك . . .

اخجلها التذكر فتهدلت عليه بقنوط . اعاد رأسها الى كتفه وقال باسماً :

ـ استرخي يا طفلتي الحبيبة . بالنسبة الى مشروع الاسكان فان سيلاس كان تقدم بطلب ترخيص له ، قبل وفاته . لم اكن المسؤول الأساسي عن ذلك .

ـ سيلاس . . . ؟

ـ هناك اشياء كثيرة قد تستعصي على فهمك يا ليزا . اشياء كنت ارجو الا تعرفيها ابداً . لا ريب ان الآنسة براون عرفت الكثير منها . لا اقصد انها مسؤولة عن اي شيء لكني استنتجت من رحيلها السريع لدى وصولي انها خشيت ان اطرح عليها بعض الأسئلة المحرجة . . . فسيلاس كان غارقاً في الديون حتى اذنيه اذ يبدو انه اساء ادارة الشركة في السنوات الاخيرة . لقد رهن كل املاك هولوز اند ، وأغلب الظن ان مشروع التعمير كان امله الأخير لانقاذ الوضع .

شهقت ليزا من الصدمة وسألت بذهول :

ـ لكنك قلت ان الأوضاع كانت جيدة ؟

ـ ظاهرياً ، في حين أثبتت الدفاتر عكس ذلك . اعتقد ان تدهور صحته هو السبب ، مع انه لم يقر بذلك .

ـ كان يجلس الى مكتبه ويحدق في الفضاء .

ـ هذا الدليل الدافع على يأسه .

تململت بحزن وتذكرت الماضي بقولها :

ـ لم يكن ليّن المراس . كنت اطمح الى امتهان رقص الباليه لكنه رفض مساعدتي .

ـ اذن هذا هو سبب العداء البسيط بينكما . ربما تدهور صحته جعله يرغب في احاطة نفسه بعائلة حوله لأن امتهان الرقص كان سيبعدك الى لندن .

فهتفت بصوت منفعل :

ـ لكني لم اكن قريبته ! بالمناسبة ، كيف عرفت ذلك ؟

ـ لورا اخبرتني بعد أن عرفت الأمر من اقرباء لها كانوا يعرفون والدك . كذلك اطلعوا على قصة التبني .

ادارت رأسها ونظرت الى اللوحات قائلة :

ـ ثم جئت الى هنا ؟

ـ اجل ، تذكرت ما قلته عن اللوحات فأملت ان استخلص شيئاً منها . لكني جئت مدفوعاً بحبي لك وليس بسبب ما قالته لورا .

خفق قلبها بعنف . . . فهذه ثاني مرة يعترف لها بحبه وقد بدأت تصدقه . . .

قال وهو يضغط على كتفيها متوعداً :

ـ اهذا كل ما لديك من كلام بعد كل تلك الأسابيع التي عجزت خلالها عن التركيز لانشغالي بحبك ؟

اجابت باختناق :

ـ سيمون ، لا بد انك حزرت مدى حبي لك ؟

ـ اكثر من حبك لبيل برايت ؟

ـ لم اكن احب بيل أو اي شاب آخر وما تظاهرت بذلك ابداً . لكني شككت فيك كثيراً . حسبت انك تقصدت طلب الترخيص كي تتخلص مني ومن امي . وعندما اخبرتني لورا ذلك ، ثارت ثائرتي .

قال ضاحكاً بلطف :

ـ لقد هجمت علي كالاعصار . انما لو كنت ابغي التخلص منكما فعلاً لما لجأت الى تلك الطريقة . كنت اعتزم اطلاعك على المشروع بنفسي . اما لورا فقد سمعت الخبر من ابيها حين بحثه معي ولم يكن سراً في الواقع . ثم تدخل عامل الوقت اذ اضطررت الى حضور اجتماع لمجلس الادارة في لندن . من ناحية اخرى ، كان مهماً أن يسكن احد في هولوز أند لبينما اقرر مصيره ، ولم افعل ذلك بدافع الاحسان كما اتهمتني . اعتقد اني سأعود الى لندن في نهاية المطاف بسبب اشغالي الكثيرة هناك .

ـ بالنسبة الى امي . . .

ـ حبيبتي ، لا داعي لأن تقلقي على مونيكا بعد اليوم . التقيتها امام البيت هذا الصباح وكدت اصدمها بسيارتي لفرط استعجالي في الوصول اليك ، وقد جرى بيننا حديث طويل .

ـ هل اخبرتك عن اوستراليا ؟

ـ بالتفصيل . . . كذلك اخبرتني كل شيء عنك ، كيف انها ارغمتك على كل تلك التصرفات بعيد وصولي . لقد شككت فيها من حينها وفي تصرفات اخرى كثيرة ، انما يمكننا أن ننسى كل ذلك بسهولة .

ـ سيمون . . .

لم تقل اكثر من هذه الكلمة لأنه اسكتها . . . ولم يتوقف عن عناقها الا حين احست رأسها يموج في حلم عاصف الروعة . انه دنياها وحياتها ولا تريد الا ان تبقى بين ذراعيه حيث تجد كل ما تحتاجه وتصبو اليه . قد تطلب اليه ان يفسر لها اموراً اخرى انما ليس الآن . . . هناك كل الوقت لذلك .

ثم اجلسها على المقعد الخشبي المستطيل وقال :

ـ سنتزوج قريباً يا حبيبتي ، قبل ان تسافر امك . وحين يصفى ذهني سأتمكن من اتخاذ بضعة قرارات وخصوصاً بالنسبة الى مكان سكننا . هل ستتضايقين اذا اضطررت الى مغادرة هولوز اند ؟

تحرك فيها الألم فنظرت اليه بعينين دامعتين . لا شيء ولا احد يقف بينهما بعد اليوم ، لا بيل برايت ولا لورا تنسون ، ولا بيتاً متعدد المشاكل . كل شيء يبدو رائعاً الى حد يصعب معه تصديقه . لكن كيف لها ان تشك في حدوث معجزة كهذه أو أن تعارض قدراً عجيداً كهذا ؟ لا يهم مطلقاً في أي مكان يسكنان .

وغمغم سيمون بنظرة مركزة :

ـ ليزا ، لقد طرحت عليك سؤالاً .

ـ اجبتك عليه دونما حاجة الى الكلام .

ثم عانقته بحرارة وهمست بقلب خافق :

ـ اينما تذهب اذهب معك ما دمنا نسير على درب واحدة .

اجابها برضاء فائق :

ـ انه جواب شامل .

جذبها اليه ثم خيم الصمت حولهما الا من الريح العابثة بشجرة الدردار التي تحرس المرج في الخارج .